تنميتنا الإسلامية

أصول التنمية البشرية الإسلامية

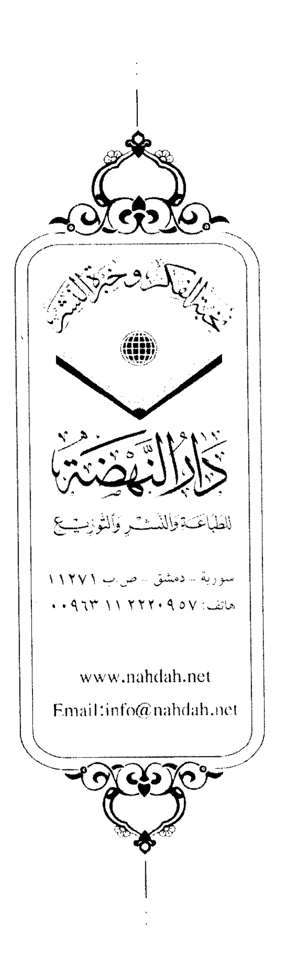
تأليف

عبد الستار كريم المرسومي



تنميتنا الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم..

وأصلي وأسلم على حبيبي رسول الله محمد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار بهداهم إلى يوم الدين..

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت..

أما بعد:

فالتنمية البشرية علم حديث، يهتم بالإنسان ورفعة شأنه وعلو كعبه وتحفيز طاقاته.. وقد وضعت التنمية البشرية الأسس والمبادئ العامة والتفصيلية من أجل ذلك وقطعت أشواطاً طويلة في هذا المجال، وما زالت تسعى للمزيد في هذا الموضوع، وقد برز علماء أضافوا لهذا العلم الشيء الكثير منهم العالميون ومنهم العرب وغيرهم كثير.. ولكن الحقيقة الجلية هي أن هذا العلم لم يكن سبَّاقاً متفرداً في هذا المجال، كما أن مختصيه لم يكونوا سباقين فيما قالوا، فقد سبقهم في ذلك الإسلام حين أصَّل لهذا العلم، ثم خاض في التفاصيل وحتى الدقيقة منها..

ولكن وللأسف لم يتصدَّ أحد لهذا الموضوع ليعطي الإسلام حقه في هذا المجال ويضع الأمور في نصابها إلا مقالات متفرقة هنا وهناك..

لذلك وجدت إن من واجبي أن أبين للناس الحقيقة في ذلك، ليس من باب اتهام الآخرين أو الطعن بهم وبما قالوا، ولكن لأجل الحقيقة وإنصافاً للإسلام ولا شيء غير ذلك على الإطلاق..

وأنا أتصور إن هؤلاء العلماء إما أنهم قرؤوا منهجية الشريعة الإسلامية في هذا الباب ثم استخرجوا منها هذه الأصول ثم عرّجوا على الفروع، أو ربما استنبطوها منها والإسلام هو دين الاستنباط، أو إنهم بالفعل توصلوا إلى هذه الحقائق التي هي من الفطرة الإنسانية في منظور الشريعة الإسلامية، والإسلام هو دين الفطرة كما هو معلوم.. وسواء كان الأمر هذا أو ذلك، فإن النتيجة واحدة في أن الإسلام منهج كامل متكامل يشتمل على أصول لكل العلوم ومنها هذا العلم..

بل إن الإسلام هو منهج العلوم ومنهج البحث العلمي، فكم من الاكتشافات العلمية كان القرآن قد أشار لها بكل وضوح إلا إن العلماء المسلمين لم يتكلموا بها إلا بعد أن تكلم بها الغرب..

وسعيت جاداً أن أجعل الأصل لكل عنوان أو موضوع أصلي أو فرعي آية في كتاب الله أو حديثاً لرسول الله ﷺ، واخترت بعض أقوال الصحابة أو التابعين أو الصالحين مما قيل من الحكم والمواعظ التي تصلح في هذا المجال كقاعدة، واجتهدت أن تكون الأحاديث الواردة من السنة صحيحة، فإن أوردت مما فيه ضعفاً فالتمسوا لي العذر في ذلك، وقد أكون فعلتها من باب (يؤخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال)، وإن تنمية الإنسان لنفسه ولمن معه لمن فضائل الأعمال..

إن علم التنمية البشرية يقوم على أساس مهم هو (التوازن) أو (الاتزان) وهذا الاتزان لا يأتي كصفة مكتسبة يرثها الإنسان عبر الكروموسومات أو الجينات الوراثية فحسب، وإنما هي نتاج واقعي لتوافق وامتزاج مجموعة عوامل واحتياجات، منها مادية ومنها روحية، فكان الإسلام على الدوام يركز على هذه النقطة فيقول الله جل وعلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسطية هنا في كل شيء، في العبادات وفي المعاملات، في الروحانيات وفي الماديات، وصولاً إلى حالة المثالية في الاتزان والتوازن، ومن ثم الوصول إلى حالة التوافق التام بين قابليات

وإمكانات الإنسان الحقيقية وبين مستوى أدائه، لأنه في العادة هناك تباين بين أداء الإنسان وإمكاناته..

كما أن التنمية البشرية لا تسعى لتحقيق نجاح الإنسان فحسب، بل تسعى ليكون النجاح مع فريق، وذلك مهم جدّاً، والفريق قد يكون صغيراً (مجموعة عمل، عائلة، فريق رياضي....) وقد يكون كبيراً كالمؤسسة التي يعمل فيها الإنسان أو المجتمع الذي يعيش فيه..

وحاولت جاهداً التركيز على أساسيات التنمية البشرية وأصولها في الكتاب والسنة، وتجنبت الخوض في التفاصيل الدقيقة حتى لا أشتت القارئ وأفقد زمام السير بالاتجاه الذي رسمته لهذا الكتاب.. فاخترت ما يتعلق بقوة الاتزان والتوازن والعادات السبع للأشخاص الأكثر تأثيراً أو الأكثر فعالية..

وعموماً فعملي هو جهد متواضع إن وفقت فيه فذلك توفيق من الله سبحانه وتعالى، وإن كان العكس فمن نفسي، سبحانك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..

الفقير إلى الله
عبد الستار كريم المرسومي
دمشق ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م

التنمية البشرية

علم الإنسان

إن الأساس الذي يقوم عليه علم التنمية البشرية المعاصر هو أن الإنسان فيه طاقات وإمكانات ومهارات هائلة، إما أن تكون غير مستغلة، أو أن تكون مستغلة ولكن بشكل جزئي، فيقوم علم التنمية البشرية على أساس ثابت وهو المحافظة على الإنسان وإمكانياته بتحفيز هذه الإمكانات والمواهب أو خلق الأساليب التي تثيرها أو تطورها من أجل المزيد من المعرفة لشحذ عزيمة الإنسان لتجديد النشاط وتفعيل الإبداع للوصول إلى النجاح والتقدم في الحياة، ولا يكتفي منهج الإسلام في التنمية البشرية بذلك بل ويزيد عليه هدفاً آخر أسمى، وهو الفوز في الآخرة، لذلك نجد أن الإسلام دعا إلى الحفاظ على الإنسان أولاً وقبل كل شيء، وعدم هدر حياته، فلهذا نراه شدد على ذلك، فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

ويقول النبي ﷺ: «.... فإن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا». فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «**اللّهم هل بلّغت، اللّهم هل بلغت**»[١].

بل وحتى في حالة جواز القتل، وهي حالات تجيزها الشريعة أصلاً حين يقترف الإنسان جرماً كبيراً جدّاً يستحق ذلك الجزاء، وهي حالات محددة جدّاً، فتوصي الشريعة الإسلامية بعدم الإسراف والاستمرار فيه واستمراء عملية القتل لأنها عملية قبيحة مستهجنة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ويقول النبي ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**». فقيل: يا رسول الله هذا القاتلُ، فما بالُ المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتلِ صاحبِهِ**»[٢].

إنَّه أسلوب ترهيبي شديد يمنع المقاتلة بأي شكل وبأي طريقة، وليس ذلك فحسب فقد وضع الإسلام الأنظمة الدقيقة لحياة الإنسان ليعيش بسعادة، وكيف لا يكون ذلك، والله هو من

---

(١) و(٢) رواه البخاري ومسلم.

خلق الإنسان وهو سبحانه يعلم ما يصلح له وما لا يصلح؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ويعمل علم التنمية البشرية في إحداث تغييرات جوهرية أساسية وربما غير أساسية في سلوك وأحاسيس وتطلعات الإنسان وأهدافه، لينقله لمرحلة أعلى من تطلعاته وأمانيه وفق آليات جديدة متناغمة مع ما اكتشفه بنفسه من مواهب وإمكانات كانت مكبوتة، وفي الوقت نفسه يبتعد عن هواجس كانت بداخله أو بخياله أو محيطة به تمنع تقدمه وتطوره، وتجعله يراوح في محله أو يتراجع القهقرى، وهذه الهواجس تجعل مواهبه في حالة من الكبت والانحسار.

وقد تعامل الإسلام مع مفهوم التنمية على أنه **مفهوم تداخل واندماج مع مفاهيم أخرى كالنهوض بالنفس والتجديد والتقدم والإصلاح والتغير الاجتماعي في الحياة.** والنظام الإسلامي حين يتعامل مع التنمية البشرية نجد أن كل صفاته موجودة، فنجد كماله وشموليته وصبغته الدينية وأصالته واستقلاله ومرونته ومثاليته وواقعيته وتوافقه مع الفطرة وارتباطه بتحقيق المصالح الإنسانية واشتماله على الثواب....

وقد أكد الإسلام على منهجه التنموي الذي يدفع بالإنسان

إلى المزيد من التقدم، فعن علي بن أبي طالب ﷺ يرفعه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ**»[(١)]، وهو جزء من حديث طويل.. وهذا الحديث دعوة حقيقية وواضحة إلى أن يكون الإنسان في حالة من التقدم والتطور بشكل مستمر وعلى مستوى اليوم الواحد فضلا عن مستوى الشهور والسنين، وهذه هي التنمية بعينها، وقد ربطت الشريعة الإسلامية موضوع التنمية بجوانب إيمانية وروحانية وأخلاقية، ففي ذلك يقول النبي ﷺ: «**حُسنُ الخلق نماءٌ، وسوء الخلق شؤمٌ، والبرُّ زيادة في العمر، والصدقةُ تمنعُ ميتةَ السوء**»[(٢)]. ويقول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بقومٍ نماءً رزقَهُم السماحةَ وَالعفافَ، وإذا أراد بقوم اقتطاعاً فتحَ عليهم باب خيانةٍ..**»[(٣)].

فيُلاحظ هنا ارتباط مصطلح النماء بأمور منها: حسنُ الخلق، البر، السماحة، العفاف، والنماء: الزيادة في الخير والسعة في الرزق، يقال: نما الشيء ينمِي إذا كثر، والسماحة هي السخاء، والعفاف: الكفُّ عن المنهيِّ عنه شرعاً، وعن السؤال من الناس،

---

(١) رواه الديلمي.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه الطبراني في الكبير.

وهي قضية تنموية ولاشك، فالتنمية تريد من الإنسان الاعتماد على ذاته متوكلاً على الله وعدم الاعتماد على الآخرين، أي أن يكون الإنسان منتجاً بل ومستمراً في الإنتاج ولا يكون عالة على الآخرين، أما ضد التنمية في المنظور الإسلامي فهو الاقتطاع وهو: أن يُسلب الفرد والمجتمع ويُقطع عنهم ما هم فيه من خير ونعمة وبركة، و اقتطع من ماله شيئاً أخذه، يعني أراد أن يأخذ منهم ما خوَّلهم ومنحهم و(**فتح عليهم باب خيانة**) أي نقص بما ائتمنوا عليه من حقوق الله تعالى وحقوق خلقه، فإن **الأمانة تجلب الرزق وتنمِّيه، والخيانة تجلب الفقر والخيبة**، وربط الإسلام أقوال الإنسان بأفعاله وجعل ذلك أصلاً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف ٢، ٣].

ويهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالتطبيق العملي للمبادئ والقواعد والأنظمة التي يشرعها، ولذا يرتبط الإيمان في كثير من الآيات القرآنية بالعمل الصالح فضلاً عن المجازاة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف ١٠٧، ١٠٨].

وعلم التنمية البشرية علم يقوم على أساس العلم والمعرفة والتعلم والاستزادة من العلم حتى الوصول إلى المعرفة بالأشياء وبالإنسان بشكل خاص، وقد كان للشريعة الإسلامية باعٌ طويلٌ في مجال العلم والمعرفة وإن العلم هو الأساس لتنمية الإنسان، فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وإن الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم فمن أخذ به أخذَ بحظٍ وافر**»[1].

فهي إذاً دعوة صريحة لا مراء فيها للعلم بل والمزيد من العلم، وأعطى الإسلام هذا الدور للعلم من أجل صقل شخصية الإنسان ورفع قيمته وزيادة كفاءته في التعامل مع الأشياء ومنحه مساحة واسعة لتحصيل المزيد من الثقافة وما يترتب على تراكم الثقافة من انعكاسات إيجابية في المجتمع، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران ١٨].

---

(١) رواه الترمذي.

يقول إمام التفسير القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه **لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه** واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء. وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه ١١٤].

فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم. وقال ﷺ: «**وإنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء**»[1]. وقال ﷺ: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعهُ من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماءِ»[2]. وهذا شرف للعلماء عظيم، ولم يترك الإسلام الأمر هكذا بل تدخل حتى في التفاصيل في طلب العلم، ومنها طرق التعليم والتعلم، فعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: **كنا عند النبي ﷺ فخطّ خطّاً، وخطَّ خطين عن يمينه، وخطَّ خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: «هذا سبيل الله» ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[3] [الأنعام :١٥٣]. وهذا أسلوب التعليم بوسائل الإيضاح.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، والدارمي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه.

كما استخدم النبي ﷺ طرقاً كثيرة في أساليب التعليم وكيفية إيصال المعلومات إلى المتلقي، فمن ذلك التعلم باستثارة المتلقي وتحفيزه على المشاركة فقد روى جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ جلوساً، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»، إنها إحدى طرق التدريس بالتحفيز ونيل المكافآت والربط بينهما..

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: **«أخبروني عن شجرةٍ تشبه - أو - كالرجلِ المسلم، لا يتحاتُّ ورقُها صيفاً ولا شتاءً، وتُؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربها»، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله وقع في نفسي أنها النخلة، قال: ما منعك أن تتكلم؟ قلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلَّم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأَنْ تكونَ قُلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا**[1].

---

(١) البخاري (٤٦٩٨)، ومسلم (٧٢٨٠).

تُرى لم اختار النبي ﷺ النخلة ؟ بالطبع لمجموعة من الأسباب..

فما هذه الأسباب يا ترى ؟

أراد الرسول الكريم ﷺ ممن حوله أن يحركوا عقولهم في استنباط ذلك، ولعل من ذلك أن النخلة قائمة باسقة شامخة دائماً وهي خضراء دائماً أيضاً، وجذورها في الأرض راسخة ثابتة وثمارها على درجة من الجمال واللذة والفائدة، ولعل هذا جزء من مراد رسول الله ﷺ وليس كله، المهم في هذا الموضوع التنموي إن الإسلام غالباً ما يترك الأمر للإنسان أن يتفكر ويحلل ويستخرج ويستنبط. وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: **كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «هل تسمعون ما أسمع ؟ قلنا: يا رسول الله ما تسمع ؟! قال: أسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئطّ، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع أو ساجد»**[1] .

وهذا سرد مثير وربط جميل بين أمور العلم والتعلم وبين التحفيز على الأعمال الصالحة وبين التصوير الفني للحدث وبين الجانب الروحي والغيبي في قضية الملائكة وأدوارهم وأعمالهم، فإذا كانت الملائكة تلك المخلوقات التي خلقت من نور وهم لا يعصون الله على الإطلاق ويفعلون كل ما يؤمرون به وهم طوال

---

(١) وأخرج ابن مردويه.

الوقت راكعون وساجدون، فكيف يصنع الإنسان الذي كثرت ذنوبه بل وعظمت، ولازمه التقصير مع الله خالقه ثم التقصير مع خلق الله ؟..

وعن أنس ﷺ قال: (**كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفجّ رجلٌ من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه في يده الشمال فسلَّم، فلما كان من الغد، قال النبي ﷺ مثل مقالته فطلع الرجل مثل مرَّته الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم إلا لصلاة الفجر، وإذا تقلب على فراشه ذكر الله وكبره، ولا يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليال وكدت أحتقرُ عملَه، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يطلعُ الآن عليكم رجلٌ من أهل الجنة» فطلعت أنت في الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فلم أرك تعملُ كثيرَ عمل، فلما ولَّيتُ دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد**

في نفسي غشّاً على أحد من المسلمين ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا تطاق[١].

وكانت منهجية الإسلام في التعليم والتعلم هي الرفق واللين، فيحكي معاوية بن الحكم قائلاً: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ **إذ عطس** رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون أفخاذهم، فلما رأيت أنهم يصمتونني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ، **فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه**... فو الله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، وإنما قال:

« **إن هذه الصلاة لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن** »[٢].

كما إن العلم في الإسلام ليس من أجل الرياء والسمعة والتندر، بل من أجل التطبيق والعمل، فقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: (**حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من**

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه مسلم.

النبي ﷺ وكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآنَ والعملَ جميعاً)، وهذه قاعدة عظيمة في أصول العلم والمعرفة، فبالفعل لا معنى لعلم لا يتم تطبيقه ولا يستفاد منه ولا يعمل به، وإنما أصل العلم من أجل العمل..

والإنسان سيُسأل عن عمله يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١).

ثم تقرر الشريعة الإسلامية قاعدة جليلة أخرى في العلم هو إن تبليغ العلم وتعليمه أفضل من التنفل في العبادات، فقد: سُئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالماً يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير. والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: «**فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم**»(٢).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحديث اشتمل لفظ (الخير) وليس الدين أو العبادات لأن الخير كلمة شاملة عامة ولعل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) روى الدارمي في مسنده.

أساس الخير وعموده هو الدين وما فيه من عبادات التي تمثل العلاقة الصحيحة بين الإنسان وبين خالقه، ثم إن الأمور الأخرى هي أيضا من الخير فكل عمل فيه مصلحة للإنسان أو للناس من حوله فهو خير..

وعن نافع عن ابن عمر قال: (**تعلم عمر - بن الخطاب - البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً**).

وفي ذلك دليل على الصبر على التعلم وطلب العلم مهما امتد الوقت وطال..

على أن العلم ينال بواسطة جوارح الإنسان التي سعى علم التنمية البشرية للحفاظ عليها واستغلالها من **قلب وجهاز بصري وجهاز سمعي** وركز عليها تركيزاً ملفتاً للنظر، لما فيها من مواصفات خاصة يمكن إجمالها بما وصفها بها العلم الحديث وكما يلي:

١- القلب:

قبل كل شيء يقول النبي ﷺ: « **ألا إنَّ في الجسد مضغةً إذا صَلَحتْ صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

يتكون القلب في رحم الأم عندما يصبح عمر الجنين ٢٧ يوماً فقط، وينبض قلب الإنسان البالغ السليم في اليوم الواحد ١٥٠٠٠٠ نبضة، وأثناء حياة الإنسان (العمر ٧٠ سنة) ٣ مليارات نبضة ، يضخ القلب حوالي ٧٠ ملي لتراً من الدم في كل نبضة، وهذا يساوي ٥ لترات من الدم تقريبا في الدقيقة في حالة الراحة، أما في حالة المجهود فترتفع هذه الكمية إلى حوالي ستة أضعاف أي ٣٠ لتراً في الدقيقة، وإن معدل ما يضخه القلب في الساعة بحدود ٣٥٠ لتراً و ٧٢٠٠ لتراً يوميّاً وأكثر من ٥٠٠٠٠ لتراً في الأسبوع، وأكثر من ٢٠٠ مليون لتر من الدم أثناء حياة الإنسان (إنسان عمره ٧٠ سنة)..

ويمر الدم في الأوعية الدموية في الراحة بسرعة تتجاوز ٤٠٠ كم في الساعة، وفي حالة الجهد تتجاوز ٢٠٠٠ كم في الساعة ، وهذا يعني ببساطة أن الدم يدور بأكمله حول الجسم كل دقيقة.

و يستبدل الجسمُ الدَّمَ بأكمله كل أربعة أشهر بسبب ما تطرأ عليه من تغيرات!! فسبحان الخالق..

ويزن قلب الإنسان غير الرياضي حوالي ٣٠٠ غرامٍ، وبواسطة الرياضة المتوازنة والتمرين المستمر والجهد المدروس يكبر القلب حتى يصل وزنة إلى ٥٠٠ غرام. أي تزداد قدرته وقابليته وتتطور وظائفه..

ويستطيع الإنسان الوصول إلى هذه النتيجة بالتدريب والتمرين المتوازن والجهد المدروس والحالة الصحية الطبيعية بعد عدة أسابيع فقط ولحوالي ساعة يوميّاً ولهذا يسمى قلب الرياضي (القلب النشيط)..

نستنتج من كل ذلك أنه من خلال الرياضة تقل نبضات القلب وتطول الراحة بين النبضة والنبضة ، ويحصل القلب على وقت كاف للامتلاء بالدم ، وكذلك وقت كاف لتزويد عضلته بالدم والطاقة.

٢- العين:

لابد لنا من معرفة كيف جهز الله العين بنظام حماية عجيب للمحافظة عليها، لأن الله سبحانه وتعالى أودع بها من الأسرار والإعجاز والأهمية ما يلزمنا بذلك. وقد خلق الله سبحانه وتعالى لكل إنسان عينين ترى كل منهما نفس الشيء نفسَه ولكن باختلاف بسيط في زاوية الرؤيا مما يساعد على الرؤيا المجسمة وجعل الله حماية العين مع خلقها، فقد وضعت كل عين في تجويف عظمي بالجمجمة مما يساعد على حمايتها من الجوانب المختلفة..

ولم تترك العين داخل هذا التجويف العظمي دون حماية.. وإنما أُحيطت بوسائد دهنية تعمل على امتصاص الصدمات

وتمـر مـن خلالهـا الأعـصاب والأوعيـة الدمويـة والعـضلات المحركة للعين.

أما من الأمام حيث لا توجد حماية عظمية وهذا طبيعي فقد زود سبحانه العين بالجفون وهى مثل الستائر المتحركة تظل مفتوحة لتسمح للعين بالرؤية ولكنها تغلق عند وجود أي خطر حمايةً للعين.. ولعلنا جميعاً نلاحظ ذلك عند اقتراب شيء غريب من العين حيث تقفل الجفون فوراً وبسرعة خارقة..

وقد زودت الجفون بنوعية معينة من العضلات تسمح لها بأن تظل مفتوحة طيلـة الوقـت دون إرهـاق وفى نفـس الوقـت فإنهـا تغلق على فترات منتظمـة لأجـزاء مـن اللحظـة وذلـك لتنظيـف القرنية ولإعادة توزيع الدموع عـلى سـطحها، وفى ذلـك معجـزة أخـرى، كمـا زودت الجفـون بالأهـداب أو الرمـوش وفى ذلـك إضافة لسبل الحمايـة حيـث تعمـل هـذه الرمـوش كمـصفاة لمنـع دخول الأتربة أو تقليل ذلك إلى أدنى درجة ممكنة..

تتكون العـين مـن أربعـين مكونـاً، تعمـل عـين الإنـسان مـن خلال التنسيق بين أربعـين مـن المكونـات المختلفـة، وإن غيـاب واحدة من هذه المكونات يجعل العين عاطلة عن العمل..

تحمل الشبكية نحو مئة مليون خلية يطلـق عليهـا (المخـاريط)

و(العصي)، أما العصي فتميز الضوء عن الظلام، و أما المخاريط فتتحسس الألوان.

ويوجد في الطبيعة أحد عشر لوناً أساسياً إلا أنه و بمزج أي منها مع آخر يمكن أن نصل إلى عدد لانهائي من أطياف اللون و هنا لا بد من الإشارة إن الكمبيوتر يميز ٢٥٦ مليون نقطة ضوئية مختلفة وأن العين البشرية تميز أكثر من ذلك بكثير.

يتألف مركز الرؤية في الدماغ من عدة مناطق تكون كل منها فوق الأخرى، بسمك ٢,٥ سم ولو بسطت لكان مساحتها ١٣,٥ متراً مربعاً، كل واحدة من هذه المناطق تحمل حوالي ١٧ مليون خلية عصبية..

٣- الأذن:

من الملاحظ إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يبدأ بسماع الأصوات وهو في رحم أمه، فجميع الحيوانات لا تبدأ بسماع الأصوات إلا بعد ولادتها بفترة وفيما يلي الأمثلة:

* **الإنسان:** يسمع الأصوات قبل ولادته بأكثر من ١٦ أسبوعاً..

أما في الحيوانات فقد توصل العلم ومن خلال التجارب المختبرية أن:

* **الخنزير:** يسمع الأصوات بعد ولادته بحوالي ٥ - ٦ أيام..

* **القط** : يسمع الأصوات بعد ولادته بحوالي ٥ - ٦ أيام..

* **الأرنب**: يسمع الأصوات بعد ولادته بحوالي ٧ أيام..

* **الكلب**: يسمع الأصوات بعد ولادته بحوالي ١٠ أيام..

وإن الجهاز السمعي إحدى نعم الله سبحانه وتعالى في جسم الإنسان وهو جهاز دقيق للغاية ووظيفته التقاط الأمواج الصوتية من الخارج وإيصالها إلى المراكز المتخصصة في المخ.. وتبدأ بالعمل مبكرة جدا (ابتداء من الشهر الرابع للحمل).. وتلك هي حقيقة علمية مؤكدة لم يمكن اكتشافها إلا حديثاً جداً، فقد لوحظ أن الحاسة الوحيدة التي تبقى عاملة نشطة سواء في المراحل الأولية للتخدير أو في حالات الغيبوبة هي حاسة السمع، ويتكون الجهاز من أذن خارجية ووسطى وداخلية، لكل منها أجزاء وتفاصيل عجيبة كما إن تفاصيل انتقال الصوت من الخارج إلى الإنسان أيضاً فيها أعجاز عجيب، إن الجهاز السمعي نعمة عظيمة وهبها الله لنا وتركيب الأذن وكيفية إدراكها الأصوات عالم مذهل عجيب مازال العلم رغم ما توصل إليه يعجز أن يفسر حقيقة هذا الإعجاز..، والأذن لا تنام، فأنت حين تكون نائماً تنام كل أعضاء جسمك، ولكن الأذن تبقى متيقظة، فإذا أحدث أحد صوتاً بجانبك وأنت نائم

قمت من النوم على الفور، ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل فإن ضجيج النهار وأصوات الناس وكل ما يحدث في هذه الدنيا من ضجيج لا يوقظ النائم، إن السمع أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع، عكس العين فإنها لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل إلى الدنيا، فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا: إن السمع هو الذي يؤدي مهمته أولاً، فإذا جئت بجوار طفل ولد منذ ساعات، وأحدثت صوتاً مزعجاً فإنه ينزعج ويبكي، ولكنك إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك، فالمولود يتعلم بواسطة السمع أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر، **وهذا هو السر في أنه يُسَنُّ في الإسلام أن يؤذن في أذن المولود ساعة ولادته**. والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم... بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغة بل عدة لغات بكل يسر، وهنا نتكلم عن شواهد من أرض الواقع.

هكذا ينظر علم التنمية البشرية لأهم الجوارح في عملية تلقي العلم كونها رمزاً للإعجاز، ولكن الإسلام تناول الموضوع قبل ذلك، فقد انتقد القرآن الكريم من لم يستغل المنحة الربانية من سمع وبصر وجوارح لأغراض التقدم والتنمية ويتجلى ذلك

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

والخلاصة هي أن القرآن لا يزال هنا وفي تلك النقطة الطبية الحساسة المتعلقة بالمسميات والتعريفات لهذه الجوارح فقد عين القرآن الكريم كل من السمع والأبصار والأفئدة (القلوب) ولم يعمم، وبقي يلتزم كأشد المناهج العلمية دقة وصرامة ولا يعمم المسميات على مجموعات ذات خصائص متباينة مختلفة، لذلك وتأكيداً على هذا المنهج العلمي الدقيق يعود القرآن الكريم ليقول: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[الحج ٤٥].

فلابد للإنسان في النهاية من أن يسيطر ويسخر ويستغل هذه الجوارح المهمة ذات المواصفات الخاصة لتراكم العلم والخبرة والمعرفة.. ثم يواصل القرآن الكريم هذه الحقائق العلمية وليتمم المنهجية التي بدأ بها، ليقرر أن الإنسان سيُسأل عن هذه النعم في حال لم يسخرها في طلب العلم بشكل خاص وفي منظومة التنمية

الحياتية والخيرية بشكل عام، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء ٣٥].

إن الإنسان مهما فكر في طاقاته وإمكاناته فلن يصل إلى حقيقة ما يمتلكه من هذه الطاقة والقدرة وهو ما يسمى في علم التنمية البشرية (القوة الذاتية)، وإذا ما استطاع الإنسان أن يصل إلى حالة الاتزان في هذه القوة ويكون مدركاً لها بشكل جيد، فإنه سيحطم الجبال وسيأتي بالعجائب، ولعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد وصل إلى ذروة القوة الذاتية يوم ترس بباب بخيبر في تلك الحادثة الشهيرة، **فقد روى ابن إسحاق عن أبي رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته بخيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه**[1].

ويذكر لنا التاريخ أن عامر بن عبد قيس مر بقافلة قد حبسهم

---

(١) روى الحادثة ابن هشام في السيرة النبوية.

الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسدَ ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلبٌ من كلاب الرحمن، وإني أستحي أن أخاف شيئاً غيره..

لقد كانت قوة عامر الذاتية في أوجها في تلك الساعة لذلك تجده يتحدى الأسد مستعيناً بالله سبحانه وتعالى، ثم تجد الأسد قد انبطح له.. والقوة الذاتية تصل إلى أقصاها وتسمى حينها (**قوة الاتزان**)، إذا استطاع الإنسان أن يلبي كافة احتياجات نفسه التي بين جنبيه بشكل متوازن، وهذه الاحتياجات هي أركان (**قوة الاتزان**) والتي يحتاج الإنسان أن يحقق فيها إنجازات وهي:

أولاً: الركن الإيماني الروحي

يدعو علم التنمية البشرية إلى سمو الروح ونقائها، ولكنه لا ينظر إلى ماهية هذا السمو وكيفية الوصول إليه.. بمعنى أنه لا يفرق بين أن تكون العلاقة الروحية مع الله سبحانه وتعالى أو مع بوذا أو مع أي إله آخر، أو عن طريق رياضات معينة كاليوغا أو غيرها، مادامت تؤدي الغرض.

والغرض المقصود هو نقاء وسمو السريرة، ولهذا فإنه يسمِّي هذا الركن بالركن الروحي، في حين إنَّ الإسلام ربط الجانب الروحي بالإيمان بالله تعالى.. وسعى الإسلام إلى أن يكون

الإنسان ربانياً، ويرى أيضاً أن السمو الروحي يكون ناقصاً ومجتزءاً حين يبتعد عن الله سبحانه وتعالى، فيقول الله جل في علاه: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران ٧٩].

يقول الإمام الطبري في كتابه «جامع البيان في تأويل آي القرآن»: (**والرباني**: هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهج الذي وليه المقسطون من المصلحين لأمور الخلق بالقيام فيهم، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم، كانوا جميعاً مستحقين أنهم ممن دخل في قوله ﷻ: ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾..

فالربانيون إذا، هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: (وهم فوق الأحبار)، لأن الأحبار هم العلماء. والرباني: الجامع إلى العلم الفقه، البصير بالسياسة

والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم)، انتهى كلام الطبري.

وليس ذلك فحسب بل ربط الإسلام بين الجانب الروحي وبين العلم الذي هو أساس المعرفة التي تقوم عليه أسس التنمية البشرية، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والجانب الروحي وسموه يقتضي نظافة القلب ونقاءه وذلك هو سر الله في خلقه وخاصة أنبيائه فيقول رسول الله ﷺ: «**فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمةً وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه**»[1].

ولقد كان هذا الحديث في سياق حادثة الإسراء والمعراج الشهيرة فلقد كانت رحلة طويلة وخارج نطاق الإمكانية البشرية فشاءت حكمة الله أن يُهيَّأ النبي ﷺ التهيئة المناسبة للحدث ومن ذلك غسل صدر النبي ﷺ.. ثم جعل الإسلام من بعض العبادات الروحية نماء ليس مثله نماء وهو استمرار النمو حتى ما بعد الموت

---

(١) رواه البخاري.

لعظم ذلك العمل ومدى أهميته ورضوان الله عليه، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**كلُّ ميتٍ يُختم على عمله، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، ينمو له عملُه إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر**»(١).

ثانياً: الركن الاجتماعي:

الإنسان في العادة لا يعيش لوحده، فهو يعيش في مجتمع، وهذا المجتمع يتكون من لفيف من الناس الذين يختلفون في اعتقادهم وأذواقهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتتولد احتياجات عديدة بوجود الإنسان وسط المجتمع، لابد له من تحقيقها، وتنقسم هذه الاحتياجات إلى قسمين:

١- مع العائلة:

يحتاج الإنسان أن تكون له عائلة، وقد حدد الإسلام ملامح وضوابط تكوين العائلة وبناء الأسرة منذ البداية، والبداية متمثلة في اختيار الزوجة.

فعن أنس بن مالك، يقول النبي ﷺ: «**من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر**»(٢)، ويقول «**ألا أُخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودودُ الولودُ العؤودُ التي إذا ظلمت قالت: هذه**

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه ابن ماجه.

يدي في يدك لا أذوق غمضاً حتى ترضى»[١].

والحرة من تكون بعيدة عن ضغوط الرق، وتكون متكاملة الشخصية تتجاوب مع الحوارات المنطقية بدون تأثير من أحد، وتدرك وتعي الأشياء وتعبر عن مشاعرها، وتغذي العلاقة العاطفية مع الزوج ومع الأولاد باعتمادها على نفسها وليس بإيحاء من أحد، ولأن الزوجة هي بالتالي الأم التي هي من سيربي الأولاد، وهي التي ستكون إمّا مصدراً للقلق وإمّا للراحة والاطمئنان للزوج خاصة وللعائلة بشكل عام وبعد الاختيار الدقيق للزوجة من قبل الزوج عليه أن يحسن التعامل معها يقول النبي ﷺ: «**خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٢]. ثم بعد الزواج ستترتب عليه تكوين العائلة ووجود الأبناء حيث عالج الإسلام قضية تنمية الأبناء من خلال تربيتهم فقد وجهت الشريعة الإسلامية من أول وهلة لتحسين اسم المولود فيقول النبي ﷺ: « **إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فحسِّنوا أسماءكم**»[٣]، ويلاحظ مرة أخرى ربط الاسم وهو

---

(١) رواه الدارقطني والطبراني.

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) رواه أحمد.

قضية دنيوية بقضية أخروية، ويقول النبي ﷺ: «**وأصدقُ الأسماءِ: حارثُ وهَمّام، وأقبحها: حرب ومُرّة**» وهو حقيقة في أصدقِ ما يطلق على الإنسان من تسميات فهو حارث من الحرث، فالإنسان في حالة دؤوبة من العمل كالزراعة وفي التكاثر وإنتاج الذرية من أجل البقاء، والإنسان بطبعه همَّامٌ، والهَمُّ أول الإرادة، فالإنسان يحتاج إلى الهم بأبسط الأشياء للقيام بها، كما كره الإسلام الأسماء القبيحة كحرب التي هي ضد السلام، ومُرّة وتدل على مخالفة الفطرة في حب الحلو وكره المر.

ومن ذلك يتضح لنا أن المنهج الإسلامي في التنمية يريد أن يشق المولود طريقه في الحياة بأجمل الأسماء حتى لا يكون الاسم القبيح عائقا أو عقبة في مجال تنمية الإنسان لنفسه، كما وضع الإسلام المعالم الواضحة للآباء في تربية أبنائهم فيقول النبي ﷺ: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[1].

وهناك قول مشهور مأثور في التراث الإسلامي ينسب أحياناً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحيانا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**لاعبه سبعاً، وأدّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم دع الحبل على الغارب**» وأيّاً

(١) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم في المستدرك.

كانت نسبة هذه الكلمات العظمية فقد قالها رجل عظيم، وهي أصول عظيمة في التربية والتنمية في ذات الوقت وتنم عن علم ودراية وعقل متفتح، ولقد دعا علم التنمية البشرية أن يبدأ تعليم الإنسان التعليم الرسمي بعمر ست سنوات وهو أمر متعارف عليه ومعمول به في معظم بلدان العالم الشرقي منها والغربي على حد سواء، وهذا يوافق السبع سنوات التي قال عنها الرسول ﷺ، حيث أن ست سنوات بالتقويم الميلادي تسبق الهجري بثلاثة أشهر تقريباً يضاف لها تسعة أشهر الفترة التي يقضيها الإنسان في بطن أمه فتكون سنة كاملة، وهذا دليل على أن علم التنمية البشرية قد أُصِّل بناءً على أصول الشريعة الإسلامية.

أما في السبعة الثانية أي بين عمر ١٤ - ٢١ سنة فتستمر عملية التعليم والتأديب ولكن مع المرافقة وهو أصل عظيم آخر لما يمر به الأبناء من فترة مراهقة وما ترافقها من عمليات تمرد على الواقع وبناء الشخصية والاستقلالية، وما زلنا في موضوع تربية الأبناء التي وافقت التنمية البشرية كل ما جاء به الإسلام فلقد اعتبر الإسلام وظيفة الأبوة والأمومة من أجلِّ وأهمِّ الوظائف وقرنها القرآن الكريم مع عبادة الله، وهذا يدل على مكانتها وأهميتها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء ٢٣].

وقد أدرك د. ريتشارد كارلسون هذه الحقيقة فاستجاب لها فهو يقول: (**قد تكون الأبوة من أمتع الوظائف وأكثرها عائداً بالنسبة للإنسان على مدار حياته، لكنها، لسوء الحظ تُعدُّ واحدة من أصعب الوظائف، إن لم تكن أصعبها على الإطلاق، وأكثرها إرهاقاً للأعصاب**).

وأوصى خبراء التنمية البشرية باستخدام الكلمات الجميلة والمؤثرة والرقيقة والتعبير عن الحب لأطفالك كأن تقول له: (أنا أحبك) والمهم فيها أن تكون واضحة وبسيطة فنقولها لأننا نرغب في قولها ونشعر بمحبتنا لهم ونعبر لهم بأفعال ولا نكتفي بالأقوال، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما خاصة وأولاد الصحابة عامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما، فوضعهما وضعاً رفيقاً، فإذا عاد عادا**)[1]. وسأضع هنا مجموعة من التصرفات توجه التنمية البشرية باستخدامها مع الأطفال عند تربيتهم

---

(١) رواه الحاكم.

وضعها مجموعة من المتخصصين، وسأترك لك أيها القارئ أن تستخرج أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية:

١- دعه يفوز من وقت لآخر.
٢- شجع أطفالك على ممارسة الرياضة.
٣- حدد لهم وقت النوم مبكراً.
٤- امنح أولادك القوة اللازمة.
٥- تنشئة أطفال غير مدللين.
٦- لا بدَّ للطفل من قدوة.
٧- استمتع مع أطفالك كل يوم.
٨- تنشئة أطفال ودودين.
٩- علمهم الصواب والخطأ.
١٠-إجراء الحوار مع أولادك.
١١-علم أطفالك الإصغاء إليك ولغيرك.
١٢- ضاعف من مرحك.
١٣- لتكن خبيراً في الأبوة.
١٤- اللقاء مع الأطفال من أجل اللعب.
١٥- علم أطفالك صفة التعاون.
١٦- اعتن بطفلك أكثر أثناء مرضه.

١٧- لا تقدم رشوة لأطفالك ولكن كافئهم.

١٨- تحدث مع ابنك المراهق وابنتك المراهقة.

١٩- علم أطفالك سلامة الحكم على الأمور.

٢٠- من تحب من أولادك أكثر؟

هذه قواعد أساسية تعتمدها التنمية البشرية، وهي ليست كل القواعد ولكن هي الجزء الأهم منها، فعلينا أن نجد أصولها في الإسلام..

كما عالج الإسلام قضية من الواقع وهي وجود الأرحام وقد شدد الإسلام كثيراً على صلة الأرحام كقضية اجتماعية مهمة وأسس لعلاقات إنسانية راقية ونظيفة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ويقول النبي ﷺ في الحديث القدسي: «**قال الله ﷻ: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه**»[1].

---

(١) رواه الترمذي.

وعن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: « **ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم، وصلُّوا، فإذا حضرتِ الصلاةُ فليؤذن لكم أحدُكم، وليؤُمُّكم أكبرُكم**»[١].

٢- مع الآخرين

قلنا: إن الإنسان يعيش وسط مجتمع، وهو يحتاج إلى ذلك المجتمع ليستأنس به وليمارس فعاليات الحياة بكل تفاصيلها معه، يقول الشاعر:

وما سُمي الإنسانُ إلّا لأُنسِهِ   وما القلبُ إلاّ إنّهُ يتقلّبُ

وقد جعل الإسلام العلاقات الإنسانية علاقات حقيقة، أساسها الإيمان بالله، ومبنية على الإخلاص والصدق والمحبة في ذات الله، بعيداً عن الازدواجية والمصالح المادية والأذى، يقول النبي ﷺ: «**المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه**»[٢]. ويقول الرسول ﷺ: « **لا يؤمن**

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه »[١]، يـا لهـا مـن منظومـة تنمية راقيـة حـين تـربط العلاقـة وحـسنها مـع الآخـرين بعقيـدة الإنسان التي يؤمن بها.. ويقول النبي ﷺ: «**واللهِ لا يؤمن، واللهِ لا يؤمن، واللهِ لا يـؤمن**». قيل: ومن يا رسـول الله ؟ قـال: «**الـذي لا يأمَنُ جارُه بوائقَه**»[٢].

وكذلك فإن الإنسان مُـصان الـدم والعـرض والمـال، فيقـول النبي ﷺ: «**فإن دمـاءكم وأمـوالكم وأعراضـكم، علـيكم حـرام، كحرمـة يـومكم هـذا، في شـهركم هـذا، ألا ليبلـغ الـشاهد مـنكم الغائب**»، «**ألا هل بلّغت**» مرتين[٣].

فالعلاقة مع الآخـرين في كنـف الإسـلام قائمـة عـلى أسـاس عظـيم هـو أسـاس كـف الأذى والـضرر عمَّـن يعـيش الإنـسان معهم، ونهى الإسـلام عـن الـضرر وإن كـان قلـيلاً ومهمـا كـان صغيراً، ولو كانت تلـك الرائحـة الـتي تنبعـث مـن الإنـسان وإن كانت بسبب أكلة قد تكون مفيدة صحيّاً، يقـول النـبي ﷺ: «**من أكلَ من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربنَّ مسجدنا**»[٤].

وطالـبَ الإسـلامُ الإنـسانَ أن يكـون لينـاً طيبـاً رفيقـاً مـع

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) و(٣) و(٤) رواه البخاري.

الآخرين فيقول النبي ﷺ: «**حُرِّمتِ النارُ على الهيِّن اللين السهل القريب**»[1].

وبعد ذلك وعلى الرغم من أن الرقيب في العلاقات الإنسانية في الإسلام نابع من داخل النفس المؤمنة وهو (**الضمير**) الحي، إلا أن الإسلام لم يكتف بذلك بل شجع وأمر بالقوانين التي تنظم الحياة الاجتماعية، فجعل الحدود والقصاص وغيرهما، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

يقول قتادة رحمه الله: (**جعل الله هذا القصاص حياة ونكالاً وعظة لأهل السفه والجهل من الناس. وكم من رجل قد هَمَّ بداهية لو لا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض. وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يصلح خلقه**)..

ثالثاً: الركن الصحي

يدعو علم التنمية البشرية إلى الاهتمام بالصحة لأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق تقدماً ونماءً بلا صحة وبلا جسم صحيح،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير.

وقد عبرت الشريعة الإسلامية عن الصحة السليمة أنها من النعم العظيمة التي يغبن فيها كثير من الناس بقول النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(١)].

كما مارس الإسلام مقولة طبية عظيمة ورصينة ومهمة وهي (**الوقاية خير من العلاج**)، حين كان يدعو إلى النظافة والتزامها لقول النبي ﷺ: «**إن الله طيبٌ يحب الطيب، نظيفٌ يحبُّ النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم...**»[(٢)].

ولقد دعت التنمية البشرية إلى صحة جيدة بطريقين:

الأول: التغذية الصحيحة

وذلك بتناول الأغذية المفيدة والمغذية على نحو متوازن، مع الدعوة إلى الأغذية التي تكون ذات قيمة غذائية متكاملة ودعا إلى تجنب الإسراف والتخمة والإكثار من ذلك، ولكن التغذية لابد منها باعتبارها مصدر الطاقة التي يحتاجها الإنسان لتحقيق أهدافه.. وهو ما جاءت به الشريعة الإسلامية في هذا الباب، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف٣١].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

ويقول النبي ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعامِ، وَثُلثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**»(١). ونجد في هذا الدليل إعجازاً قرآنياً جديداً حيث يضع قاعدة توازنية لثلاثة أشياء مهمة جداً للإنسان ونمائه وهي الغذاء، الشراب (الماء) و التنفس (الهواء)، وجعل الله سبحانه وتعالى لهذه الأشياء نسباً متساوية فقلنا للطعام أهميته من أجل الطاقة، أما (الماء) ففيه الفوائد التالية:

١ - يمنح الجسم الرطوبة الكافية مما يكسب الجلد الليونة ويحفظ للعينين البريق..

٢ - يجدد حيوية خلايا الجسم..

٣ - ينظم درجة حرارة الجسم..

٤ - يعمل على تخليص الدم من السموم والرواسب..

٥ - ينشط الجهاز الهضمي وعملية الإخراج، ويخفف سوائل الجسم الأخرى..

٦ - يعمل على ترطيب المفاصل وليونة حركتها ويحميها من الكدمات..

٧ - يعوض ما يفقده الجسم من السوائل التي تخرج في البول

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه.

والعرق والبراز ورطوبة الزفير..

٨- ينشط وظائف الكلى..

وأما **التنفس** فتدعو التنمية البشرية بشكل دائم وفي كل المناسبات إلى المزيد من التنفس العميق، وتؤكد أن التنفس الجيد والصحيح بناء للصحة الجيدة ومصدر للارتياح، ونلاحظ أن الإسلام أعطى حصة للتنفس لا تقل شأناً عن الطعام والشراب، فللتنفس دور كبير في المحافظة على استمرارية النشاط داخل الجسم، فبالتنفسَ يتم التخلص من ثاني أوكسيد الكربون الذي يعتبر تراكمه ضاراً لخلايا الجسم ويوازن فقدانه بالحصول على الأوكسجين الذي يعتبر الوقود الذي لا تستمر الحياة بدونه، لما له من الدور الكبير في استمرارية العمليات الحيوية داخل الجسم وعملية التزويد بالأوكسجين هي عملية مستمرة لا تنقطع كما إن من فوائد التنفس المحافظة على حرارة الجسم فنتيجة لعمليات الاحتراق والهدم والبناء ترتفع درجة حرارة الجسم الداخلية فيكون التنفس هو السبب في التخلص من الحرارة الزائدة بعدة وسائل منها، الجهاز العصبي، أو الغدد الصماء أو الرئتان..

ونقصان الأوكسجين يؤدي إلى خلل في عمل الدماغ، وبالتالي تظهر أعراض الدوار والتعب على المريض عادة، أما في

حالة انقطاعه انقطاعاً تاماً فأنه يؤدي إلى توقف عضلة القلب وبالتالي يكون الإنسان تحت احتمالية كبيرة لفقدان حياته ما لم يتم إنعاش القلب والرئة من جديد في وقت محدد.

إذاً فالتنفس هو عملية ضرورية لإمداد عضلة القلب بالأوكسجين، وبالتالي ضخّ الأوكسجين عن طريق الدم إلى سائر أعضاء الجسم وبالتالي تستمر عملية حياة الإنسان بانتظام من خلال انتظام فعالياته الحياتية..

وأما في مجال الغذاء فقد ورد أن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن**»[1]. وقد حذرت الشريعة الإسلامية كثيراً من التخمة فوجهت بالاقتصاد في ذلك، فقد قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ يَبغُضُ أَهْلَ الْبَيْتِ اللَّحْمِيِّينَ، وَالْحَبْرَ السَّمِينَ**»[2].

عن عمر بن الخطاب قال: (إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّهَا مَفْسَدَةٌ لِلْجَسَدِ تُورِثُ السَّقَمَ، مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاَةِ. وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِيهِمَا، فَإِنَّهَا أَصْلَحُ لِلْجَسَدِ وَأَبْعَدُ مِنَ السَّرَفِ، وَإِنَّ اللهَ لَيَبْغُضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ)[3]..

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك

(٢) رواه البيهقي.

(٣) أخرجه ابن النجاري في تاريخه، وأبو نعيم في الطب النبوي.

وقال طبيب العرب الحارث بن كلدة: (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء).. بل وذهبت الشريعة الإسلامية إلى أبعد من ذلك حين أوصت بأشياء بعينها من المأكولات والمشروبات لذلك الغرض وسمتها وخصصتها لعظيم فائدتها في بناء جسم صحي خال من الأمراض وعقل نامٍ متفتح خلاق، فعلى سبيل المثال وليس الحصر، يقول النبي ﷺ: «**عليكم بألبان الإبل والبقر، فإنها ترمُّ من الشجر كله وهو دواء من كل داء**»[١]، وقال ﷺ: «**عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون، فتداوَوا به، فإنه مصحة من الباسور**»[٢].

أما من اللحوم فقد أوصى بلحم الظهر فقال ﷺ: «**عليكم بلحم الظهر، فإنه من أطيبه**»[٣]. كما أوصى ببعض أنواع النباتات ومنها **الحبة السوداء** لأهميتها وغناها لقوله ﷺ: «**إن هذه الحبَّة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السَّام**»[٤].

الثاني: الرياضة

إن ممارسة الرياضة أمر في غاية الأهمية من أجل بناء جسم

---

(١) رواه ابن عساكر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه البخاري.

رياضي سليم، ورفع أهل التنمية البشرية شعاراً (العقل السليم في الجسم السليم).. ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص ٢٦]. وقال تعالى: ﴿... قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

والزيادة في الجسم دلالة على قوته، وقوة الجسم لا تأتي من فراغ بل بالرياضة المستمرة المنتظمة، ولابد من الملاحظة هنا أن وظيفة رياسة الناس وسياسة الناس تحتاج إلى جسم يتم بناؤه بالرياضة والمداومة عليها..وقد كانت الرياضة منهجاً وأسلوباً من أساليب التربية النبوية للناس فكان ﷺ يمارسها بنفسه ومع أقرب الناس إليه وهي زوجته فقد روت السيدة عائشة ﵂ فقالت: **سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم، سابقني فسبقني قال: «هذه بتلك»**[1].

وفي هذا الحديث مجموعة من القضايا المهمة ليس في موضوع الرياضة فحسب بل في موضوع الترويح عن النفس والعلاقة الحميمة بين الرجل وأهله وهو أسلوب تنموي ولا شك..

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود.

ولم يكتف النبي بممارسة الرياضة بنفسه بل كان يقول لأصحابه: (**عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم**).. وعن ابنِ عُمَرَ: (**أنّ نَبِيّ الله ﷺ كَانَ يُضَمّرُ الْخَيْلَ، يُسَابِقُ بِهَا**)[١]. وفي الحديث مشروعية المسابقة، وأنه ليس من العبث، بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والانتفاع بها عند الحاجة في كثير من متطلبات الحياة، وهي دائرة بين الاستحباب والإباحة بحسب الباعث على ذلك.

قال القرطبي: لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الأقدام، وكذا الترامي بالسهام واستعمال الأسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب، وفيه جواز إضمار الخيل، ولا يخفى اختصاص استحبابها بالخيل المعدة للغزو..

ويقول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىَ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[٢].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

وهنا قوة البدن لا يمكن أن تتحقق إلا بالرياضة وممارستها والمداومة عليها.. وقال ﷺ: «**علموا أبناءكم السباحة والرماية**»[١]. والسباحة والرماية تبنيان جسماً رياضيّاً وقلباً قويّاً متماسكاً صبوراً، وتركيزاً عالياً، والسباحة تقتضي ما يعرف بـ(طول النَّفَس)، أما الرماية فتعني الإدراك العالي والدقة في إصابة الهدف، والهدف في مجال التنمية ليس شرطاً أن يكون هدفاً ماديّاً.. كما أوصى النبي ﷺ بالاهتمام بالصحة عموماً، وعدم الخوض فيما من شأنه أن يكون مصدراً للعلل والأمراض فيقول ﷺ: «**إياكم والجلوس في الشمس، فإنها تُبلي الثوب، وتُنتن الريح، وتظهر الداء الدفين**»[٢].

رابعاً: الركن المادي

الإنسان بحكم طبيعته يحتاج إلى الأمور المادية ليقيم بها حياته، ويحتاج إلى المال بالتحديد، والمال هو الوسيلة الدائمة لتوفير متطلبات الحياة وعلى هذا الأساس كان على الإنسان أن يجد له عملاً لتوفير المال و به يتم توفير متطلبات الحياة الأخرى، وقد سقنا الحديث الذي رواه مسلم «**المؤمن القوي خير...** » في الباب

---

(١) رواه ابن منده والديلمي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

الصحي والحقيقة أنَّ قوة المؤمن المطلوبة تلك التي تكتمل جوانبها فبالإضافة للقوة البدنية يحتاج المؤمن للقوة المادية حتى لا يحتاج لأحد من الخلق فيضعف..

ويدعو علم التنمية البشرية أن يكون العمل بقدر بحيث يكون عامل دفع ايجابي وليس العكس وأن يوفر الحد الأدنى من متطلبات الحياة الحرة الكريمة، وقد أقرت الشريعة الإسلامية ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصلْ رحمه**»[١].

وهذا أصل عظيم وفائدة كبيرة بربط الجانب المادي بقضية دنيوية هي صلة الرحم، وهي قضية اجتماعية، وهكذا هي العقيدة الإسلامية مشروع تنموي متكامل.

فعَنْ عَبْد اللَّه بنِ أَبِي الجعد، عَنْ ثوبان، قَالَ: قَالَ الرَسُول ﷺ: «**لا يزيد في العُمَر إِلَّا البرُّ، ولا يرد القدر إلاَّ الدعاء، وإن**

---

(١) رواه البخاري.

الرجل ليُحرم الرزق بخطيئة يعملُهَا»[1].

وهنا أصل آخر بربط الركن المادي بالركن الإيماني الروحي، بجعل الخطايا والآثام وضعف الجانب الروحي والعلاقة مع الله سبباً في محق الرزق.. ولكن الرزق المطلوب والذي تدعو إليه الشريعة الإسلامية هو الرزق الذي لا يتسبب في الطغيان والتكبر والاستغلال والاحتكار والاستعباد أي تغليب طبقة اجتماعية معينة على طبقة أخرى، وهنا يقرر هذه القاعدة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].



---

(١) رواه بن ماجه.

التنمية والنمو

هناك فرق كبير بين مفهومين شائعين، هما النمو والتنمية، والنمو هو تحقيق زيادة معينة في رأس المال (الربح)، **فالنمو الاقتصادي يعني ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام مقاساً بالأسعار الثابتة، أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي**، ويمكن أن تكون الزيادة في رأس المال البشري من خلال تقدمه في إحدى مناحي حياته كعمله أو شهادته أو ملبسه أو مسكنه.. إلخ، وقد كان يعتقد لغاية الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي أن الأمم التي تريد أن تنمو وتنمي شعوبها هي بحاجة إلى رؤوس الأموال والتقدم التكنولوجي فحسب.

أما في التنمية فينظر للموضوع من زاوية أخرى فهي ومع تحقق الزيادة المرجوة في رأس المال سواء كان مادياً أو بشرياً فإن ذلك يقتضي تحقيق مكاسب في جوانب معينة ترافق عملية النمو وتكون لازمة الإنجاز وإلا فلا تسمى العملية بالتنمية، فعلى سبيل المثال بالإمكان أن نبذل جهداً وننفق مالاً على تلميذ مجتهد لنخرج طبيباً ناجحاً ولكن لو كان هذا الطبيب مجرداً من الشعور الإنساني ويتعامل مع المريض كصفقة تجارية لا أكثر ولا أقل، هنا لم تحصل لهذا التلميذ عملية تنمية لأنها أغفلت الجانب

الاجتماعي في الموضوع.. **ولهذا فإن التنمية المستدامة هي مسؤولية هذا الجيل عن الأجيال القادمة**.. والتنمية المستدامة أو التنمية الشاملة تراعي مجموعة من الجوانب أو الأركان هي:

١ - الجانب السياسي.

٢ - الجانب الاقتصادي.

٣ - الجانب الاجتماعي.

٤ - الجانب البيئي.

والركن السياسي لن نخوض فيه هنا لكونه خارج نطاق بحثنا، أما الركن الاجتماعي فسنتناوله في مكان آخر من هذا الكتاب، وبالتالي فسنتناول كلاً من الجانب الاقتصادي والجانب البيئي:

١- الجانب الاقتصادي

من الأمور التي تسجل للاقتصاد الإسلامي أنه منهج كامل ومتكامل، فهو كامل لأنه منهج رباني، ومتكامل لأنه جاء بتفاصيل لكل الأمور الاقتصادية بدءاً بالأشياء الكبيرة كقواعد توزيع الثروات، وتداول رؤوس الأموال والتعامل معها، والملكية وحدودها، مروراً بالأشياء الأقل أهمية كقضايا التسعير وأحكام الإجارة وغيرها.

والاقتصاد الإسلامي منهج رفيع المستوى منظم الأصول والفروع اعترف بعلو شأنه حتى أعداؤه، وأثبتت التجارب الإنسانية أنه المنهج الملائم لكل وقت وحين وكل مكان، وأن ما يمنع العالم الآن بما فيه العالم الغربي من تطبيق منهج الاقتصاد الإسلامي إنما بداعي العداء للإسلام بشكل عام ليس إلا.

لقد أسس الاقتصاد الإسلامي ومن خلال تجارب طويلة دامت أكثر من ١٠٠٠ سنة في المناطق العربية والمناطق التي كانت تحت الدولة الإسلامية آنذاك ، وبحدود ٨٠٠ سنة في أوربا متمثلة بالحضارة الإسلامية في الأندلس (إسبانيا) أسس لبناء اقتصاد حقيقي تفاعلي وتقويمي بنى خلالها مجتمعاً معافىً صحيحاً وسليماً ومتميزاً، وبقي يتطور حتى سقوط الدولة الإسلامية العثمانية في القرن العشرين الميلادي الماضي.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بنظامها الاقتصادي في وقت كان المال والثروة القوة الخارقة والمؤثرة في المجتمع، وطالما بقي للمال نفس التأثير فإنَّ الاقتصاد الإسلامي له تأثيره الخاص في الموضوع يقدم العلاجات الفعالة في كل وقت حيث كان مبنيّاً على نظام البدائل، فهو بما يشمله من ممنوعات ومحذورات فإنه يوفر البديل عنها ولكل حالة على انفراد، فهو عندما نهى عن

الربا أحل كل أنواع التعاملات التجارية من بيع وغيرها من أساليب الاستثمار، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وعندما ينهى الإسلام عن السرقة يوفر الحد الأدنى من أجور العمل التي توفر حد الكفاية للإنسان؛ لقول رسول الله ﷺ: «**أعطوا الأجير حقَّه قبل أن يجفَّ عرقُه**»[١].

وحقيقة الأمر أن العالم اليوم يعاني من أزمات اقتصادية خانقة بل مدمرة، ولعل الباحثين المتمرسين في عالم الاقتصاد يعون هذه الحقيقة جيداً، لقد انجرف اقتصاد العالم بأسره وراء الاقتصاد الرأسمالي الغربي الذي كان السراب الذي يلهثون وراءه ويظنون أنه الماء الذي سيروي عطشهم، ونعتقد أن الأوان قد آن ليعود العالم لينظر إلى الاقتصاد من زاوية جديدة وهي الإسلام الذي هو الوحيد الذي سيجد الحلول الناجعة لكل المشاكل من خلال نظرته الشاملة والشفافة للأمور الاقتصادية في العالم، فنحن نعيش اليوم في عالم من أهمِّ مشاكله الاقتصادية

---

(١) رواه البيهقي وابن ماجه.

مشكلةُ التبعية للدول المتقدمة (خاصة الولايات المتحدة الأمريكية) فمصيره مرتبط بها، ومن هذا المنطلق كانت الحاجة ماسة جدّاً لعودة مؤسسات الاقتصاد (الذي هو عصب الحياة وديمومتها) إلى منهجية الاقتصاد الإسلامي التي تعتمد على الكثير من الأسس التي تجعل الطريق واسعاً للإنسانية لتسمو فوق النزعات والرغبات والشهوات.

فمن أهم تلك الأسس **أن الإسلام ربط نجاح أي تجربة اقتصادية بمنهج** الله **سبحانه وتعالى** حيث قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

والحياة الطيبة هنا في الدنيا وأما من يتبع المناهج الأخرى فقد قال فيهم القرآن الكريم: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، **كما يربط الجانب الاقتصادي المالي بالجانب الروحي التعبدي لذلك نجد معظم الآيات التي تأمر بإقامة الصلاة والتي هي عبادة توقيفية روحية بدنية تقرنها بالزكاة التي هي عبادة توقيفية مالية اقتصادية**، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[البقرة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦].

وبذلك يحصل الربط العجيب بين الروح والمادة لتجعل الرقيب الحقيقي للإنسان الذي يدير منظومة الاقتصاد رقيبا داخلياً هو (**الضمير**) بل ويسعى إلى رفع مستوى أداء ذلك الرقيب من خلال تنمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى في النفس البشرية ، **فالمنهج الإسلامي في الاقتصاد لم يكن هدفه التنظيم الاقتصادي وإدارة عوامل الإنتاج فحسب، بل إنَّ البناء الاجتماعي السليم هدف آخر وهو هدف أساسي يسعى له.** ولذلك فان هناك ربطاً آخر ومن نوع آخر يتضح في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١] فجاء إيتاء الزكاة في الآية الأخيرة بعد إقام الصلاة وهو أمر منطقي؛ فالصلاة هي عماد الدين ونور اليقين وهي عَلَم الإسلام العام، ولكن نلاحظ إن إيتاء الزكاة جاء قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بدونهما يضيع المجتمع وفي ذلك إشارة بليغة

تقول لنا إنكم لن تستطيعوا أن تأمروا بمعروف أو تنهوا عن منكر إلا بعد إقامة نظامكم الاقتصادي السليم..

وأما الأساس الآخر فان الاقتصاد الإسلامي يقرر أن الإنسان ما هو إلا خليفة الله في هذه الأرض، وأن الملك ملك الله لقوله سبحانه وتعالى :﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد:٧].

ويقول سبحانه :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥]

وإن الملكية المطلقة إنما هي لله سبحانه وتعالى بقوله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

علماً أن قضية الاستخلاف لم تتقاطع مع حق الإنسان في الملكية الشخصية أو الفردية التي أقرها النظام الاقتصادي الإسلامي بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقوله تعالى:﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور::٣٣].

ولكن **الملكية الفردية مقيدة بضوابط الشرع ليس بمعنى التقيد الرقمي وإنما التقيد الأخلاقي أولاً ثم التقيد بأوامر ونواهي الشارع سبحانه وتعالى**، وقد جاء قرار الملكية الخاصة استجابة للنوازع والرغبة الإنسانية في تملك الأشياء وهذه الصفة قديمة قدم الإنسان نفسه ولكن الإسلام يريدها مقيدة به فعلى سبيل المثال نهى الإسلام عن الاحتكار بهدف رفع الأسعار ، كما نهى عن اقتطاع الأرض وعدم استغلالها، ولعل قصة بلال ﷺ مع سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ خير دليل على ذلك، حيث إن الرسول الكريم ﷺ قد أقطع بلالاً أرضاً تسمى (العقيق) إلا أنه لم يستطع المداومة على العمل فيها وإصلاحها، فلما كان زمن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال قولته الاقتصادية المشهورة: (**إن رسول الله ﷺ لم يُقطعك لتحجزه على الناس، إنما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورُدَّ الباقي**).

كما يقوم الاقتصاد الإسلامي على أساس مهم آخر وهو أن **يدار النظام الاقتصادي وأهم ما فيه وهي الأموال وعوامل الإنتاج بأيدي الأكْفَاء والمتخصصين والمؤتمنين**، فيقول الله سبحانه وتعالى في ذلك :﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥].

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: **بينما النبي ﷺ في مجلس يحدِّث القومَ جاءه أعرابيٌّ، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدِّث، فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتَّى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائلَ عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظرِ الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعَة»**[1]. وفي هذا الحديث دلالتان:

أولاهما: إن بضياع الأمانة ضياع الدنيا وهي قضية اقتصادية مهمة.

وثانيهما: إسناد الأمر إلى غير أهله بمعنى تولية المسؤوليات كيفما اتفق وليس على أساس الكفاءة والتخصص..

وأساس آخر أُقِرَّ في منهج الاقتصاد الإسلامي وهو القضاء على الطبقية في المجتمع، وأنَّ الناس سواسية كأسنان المشط في حقوقهم على الدولة مع اختلاف واجباتهم، وأن تقييمهم بموجب تقواهم وخدمتهم لمجتمعهم وإخلاصهم في عملهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١) رواه البخاري.

عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ برجلٍ ترعدُ فرائصه قال فقال له: «**هوِّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء**» قال ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥][١]. وبذلك أقرَّ الرسول الكريم مبدأ المساواة ورفع الطبقية عندما ربط القضية بالموضوع الاقتصادي، فأخبر الرجل بأنه ابن امرأة كانت تأكل القديد في البطحاء على الرغم من أنه القائد الأعلى في البلاد وهو رئيس الدولة، بل على العكس حيث حمّل الإسلامُ الأغنياء حملاً إضافياً وواجباً إضافيّاً عندما وضع الفقراءَ في أعناقهم، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (**إن الله فرضَ على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءَهم، فإن جاعوا أو عَرُوا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحقٌّ على الله أن يحاسبهم يومَ القيامة، و يعذبهم عليه**)[٢].

وأما الأساس الآخر فمتعلق بالذي قبله **وهو القضاء على أهم مشكله في الاقتصاد وهي القضاء على الفقر** في المجتمع، بل إن أي نظام اقتصادي يجب أن يكون معيار نجاحه هو القضاء

(١) رواه الحاكم في مستدركه وهو حديث صحيح على شرط الشيخين.
(٢) رواه البيهقي.

على مشكلة الفقر التي يمكن القضاء عليها من خلال عدالة توزيع الثروات والإنتاج بما يؤمن المستوى اللائق للفرد في المجتمع، أي توفير (**المستوى الأدنى للمعيشة**) التي بدونها يعيش الإنسان منشغلاً لتوفيرها فينصرف عن أداء الأهداف والغايات التي من أجلها استُخلف في الأرض، وهي في الحقيقة غايات سامية ومع ذلك فإن الفكر الاقتصادي الإسلامي قد أقرّ قضية التفاوت في المستويات المادية وذلك إقراراً باختلاف المهارات والقدرات والمواهب فيقول القرآن الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [النحل ٧١].

ولكن هذا التفاوت يجب أن يكون عاملاً من عوامل التعاون والتكامل والتلاحم وليس عاملاً للسيطرة والاستعلاء والاستغلال والاستعباد، فالمطلوب في الاقتصاد الإسلامي أن يوفر (حد الكفاية) للفرد وإلا فان المسألة تخرج إلى باب آخر كما جاء في الحديث (**كاد الفقر أن يكون كفراً**)[1] والكفاية تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر بحسب تغير الأحوال فيقول الإمام الشاطبي: (**الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال**).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

فتوفير هذا الحد الأدنى من المستوى المعيشي يبيح وجود من ما يسمى مليونيراً أو مليارديراً في المجتمع، وإلا فمن المنطق أن يقال: (إذا بات مؤمن جائعاً فلا مال لأحد) وهذا المعنى جليٌّ في حديث النبي ﷺ: «**أيُّ أهل عَرَصةٍ أصبحَ فيهم امرؤٌ جائعٌ فقد برئتْ منهم ذِمَّة الله**»[1].

وقد توسع الفكر الاقتصادي الإسلامي إلى حد بعيد لمعالجة مشكلة الفقر، حيث يقول ابن حزم الأندلسي في كتابه المحلى: (**إذا مات رجلٌ جوعاً في بلد اعتبر أهلُه قتلةً وأُخذت منهم دية القتيل**)، ويقول: (**للجائع عند الضرورة أن يقاتل في سبيل حقه في الطعام الزائد عند غيره فإن قُتل - الفقير - فعلى قاتله القصاص، وإن قَتل الآخرَ فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً وهو طائفة باغية**).

ومن الأسس الأخرى التي أقرها الإسلام في منهجه الاقتصادي النهي عن الإسراف والتبذير فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١].

فقد أجازت الشريعة الإسلامية لبس الزينة والأكل والشرب ولكن بدون إسراف وبدون الوصول إلى مرحلة التبذير المنهي

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

عنها والتي أنكرها القرآن في موضع آخر بقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء ٢٧].

كما أقرت السنة النبوية ذلك بالتوجيه بعدم التبذير ليس بالمال فحسب وإنما بالثروات والمواد الأولية أيضاً، التي هي إحدى عوامل الإنتاج وان كانت متوفرة بغزارة فعن عبد الله بن عمرو: (إن النبي ﷺ مر بسعد و هو يتوضأ فقال: «**ما هذا السَّرَف يا سعد؟**» قال: و في الوضوء إسراف؟ قال: «**نعم و إن كنت على نهر جار**»[1]. علماً أن الماء هو المادة الوحيدة التي تدخل في كل العمليات الإنتاجية الصناعية سواءً كمادة أولية في الإنتاج أو تدخل في العمليات الساندة والخدمات، ولقد اعتبر الفكر الاقتصادي الإسلامي التبذير عملا مشيناً فعن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه رأى في يد جابر بن عبد الله درهماً رضي الله عنه فقال: (**ما هذا الدرهم؟ فقال: أريد أن أشتري لأهلي بدرهم لحماً، فقال عمر: أكُلَّما اشتهيتم اشتريتم، ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه و جاره، أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾** [الأحقاف: ٢٠][2].

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك.

بل ذهب المنهج الإسلامي في الاقتصاد إلى النهي عن التبذير والنهي عن الإنفاق غير المسؤول أو في غير محله، حتى ولو كان في بناء المساجد التي تبنى في العادة لعبادة الله الواحد الأحد، فمِن الصحابة الزُّهاد مَن أنكَر زخرفة المسجد، كما جاء عن أبي الدراء ﷺ قال: **إذا حلَّيتم مَصاحفكم، وزَخْرَفتم مساجدكم، فالدَّبَار (أي الهلاك) عليكم.** وعن علي ﷺ إنَّ القوم إذا زَيَّنوا مساجدهم، فَسَدتْ أعمالهم. وعن بعض السلف: ما أساءت أمَّة أعمالها إلا زخرفتْ مساجدها.. وروي أن ابن مسعود مَرَّ بمسجد مُزخرَف، فقال: لَعَن الله مَن زَخرفه. أو قال: لعن الله من فعل هذا، المساكين أحْوجُ من الأساطين.

وبالتالي فان الإكثار من وسائل الزينة والاهتمام الزائد بها والإفراط فيها قد يكون سبباً في انهيار الوضع بأكمله وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]. وفي آية أخرى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ [المؤمنون ٦٤].

غير أن منهج الإسلام وافق بين ملذات الإنسان ورغباته وشهواته، التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران ١٤] وبين متطلبات الاقتصاد الإسلامي بحيث جعل الأمر وسطاً بين ذلك كما هو دأب الشريعة الإسلامية دائما فيقول النبي ﷺ: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ ، ويحبُّ أن يُرى أثرُ نعمتِه على عبده**»[1].

٢- الجانب البيئي

يسعى علم التنمية البشرية لتحقيق بيئة نقية صالحة يعيش فيها الإنسان ليتمكن من تحقيق إنجازات في مجال تنمية قدراته وزيادة كفاءة نتاجه، ويكون ذلك في العادة في ثلاثة أوجه:

١- **الحفاظ على البيئة وثرواتها وعدم الإسراف.**

٢- **عدم الإفساد في البيئة وتدميرها.**

٣- **تنميتها وإعمارها ورعايتها.**

وحين نتناول هذه الجوانب نجد أن الشريعة الإسلامية قد دعت إليها بشدة وباستمرار، وقد قرن الإسلام هذا العمل - وأقصد الاهتمام بالبيئة - بالإيمان بالله، حيث يقول النبي ﷺ :«**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها لا اله إلا الله وأدناها إماطةُ**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

الأذى عن الطريق»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي في الطريق إذ وجد غصنَ شوك، فأخَّره فشكر اللهُ له فغفرَ له»**[٢].

ولقد دعا الإسلام إلى الزراعة وتحويل المساحات الصحراوية إلى مساحات خضراء أي معالجة ظاهرة التصحر. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام ١٤١]. ويقول النبي ﷺ: «**إذا قامتِ الساعةُ، وبيد أحدكم فَسيلةٌ، فإن استطاعَ أن لا يقومَ حتى يغرسَها فليفعلْ»**[٣]. وهذه دعوة صريحة للاستمرار وعدم التوقف في عملية زراعة المساحات الخضراء، كما يقول النبي ﷺ: « **ما من مسلمٍ يزرعُ زرعاً، أو يَغرسُ غرساً، فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كانَ له به صدقةٌ»**[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

ونهت الشريعة الإسلامية عن إهلاك الحرث والنسل بذم من فعل ذلك واعتبار ذلك من الفساد الذي لا يُرجى معه فلاح، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف ٨٥].

وفي حديث آخر منعَ من أن تُلوَّث المياه، يقول النبي ﷺ: «**لا يبولنَّ أحدُكم في الماء الدائمِ، الذي لا يجري، ثم يغتسلُ فيه**»[1] .

وعن ابن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروحُ غرضًا**» يعني: لمجرد تعلم الرماية أو اللهو لأن هذه الطيور هي جزء من جمال البيئة فيجب أن لا ندمرها.

ونهى ﷺ عن التبول والبراز في مياه الأنهار أو بالقرب منها منعاً من تلوثها، ونهى عن الإسراف في الماء حتى في الوضوء..

أما في **مجال التلوث بالضوضاء** فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان ١٩].

وتقبيح الصوت سواء في جانب ارتفاعه أو قباحته إنما يأتي في باب الحفاظ على البيئة من الضوضاء وبيان مدى تأثير ارتفاع الصوت على الآخرين..

ولم يكن إيراد القرآن الكريم لضوضاء الأصوات والنهي عنها اعتباطاً بل أثبتت الدراسات أن العلماء حذروا من أن المنازل التي يسودها الضوضاء يمكن أن تعرض نمو الأطفال العقلي للخطر، وتشير نتائج بحث جديد إلى أن البيئة التي تتسم بالضوضاء المتواصلة يمكن أن تؤثر على مخ الطفل وتحد من قدرته على إدراك الأصوات وتمييزها. وربما تفسر نتائج هذا البحث سبب اضطراب وتأخر تعلم اللغة خلال العقود القليلة الماضية، فالمنازل العصرية الحالية عادة ما تكتظ بالأصوات المتنافرة غير المنتظمة، من مثل أصوات التلفزيونات والإذاعات وضوضاء المرور والطائرات فوق الرؤوس والأجهزة المنزلية ذات المحركات مثل الغسالات والثلاجات.. هذا من جانب، ومن جانب آخر تذكر دراسة رصينة وحديثة في هذا المجال أن

تأثير الضوضاء وارتفاع الأصوات تؤثر في الجوانب النفسية والعصبية والدورة الدموية ومستوى إنتاج العاملين، كما يلي:

١- التأثير النفسي

يؤدي ارتفاع الصوت عن المعدل الطبيعي إلى نقص النشاط الحيوي والإثارة والقلق وعدم الارتياح الداخلي والارتباك وعدم الانسجام فالتعرض للضوضاء لمدة ثانية واحدة يقلل من التركيز لمدة (٣٠) ثانية، وتبين التجارب أن طلبة المدارس الذين يتعرضون لضجيج شدته ٥٠ إلى ٦٠ ديسيبل[١] يظهر عليهم التعب من خلال شعورهم بطول وقت الدراسة كما يستهلكون وقتاً أطول في حل التمارين الرياضية في حين لا يظهر ذلك في الأجواء الهادئة (٣٠-٣٧ ديسيبل) كما إن للضجيج أثراً من النمو الفكري للأطفال..

٢- التأثير العصبي

تصل الضوضاء عبر الألياف العصبية إلى الخلايا العصبية المركزية في المخ فتهيجها وينعكس ذلك على أعضاء الجسم كالقلب، فالضوضاء ولو كانت درجتها ضعيفة تسبب انقباضاً في الأوعية الدموية فبعد ٣ ثوانٍ بالضبط من ابتداء ضوضاء

---

(١) ديسيبل: هي وحدة قياس شدة الضوضاء.

درجتها (٨٧ ديسيبل) تنكمش الشرايين الصغيرة فينقص حجم الدماء داخلها وعندما تتوقف الضوضاء تحتاج الأوعية الصغيرة إلى (٥دقائق) كي تعود سيرتها الأولى..

٣- التأثير على السمع

لاشك أن حاسة السمع هي المناطة بالتأثير المباشر للضجيج وتبدأ الشكوى من قسوة الصوت عند وصول شدته لأعلى من (٥٠) ديسيبل.. ويحدث النقص في السمع عند (٨٠ ديسيبل) أو أعلى.. فيبدأ بالطنين في الأذن ثم صداع دائم وانخفاض في سماع الأصوات المتوسطة. وهذه الضوضاء سبب لأكثر الحوادث في المصانع لأن العامل لا يسمع تحذير زملائه عند وقوع الخطر وقد يتوسع الضرر إلى الصم الكامل نتيجة التعرض لصوت مفاجئ كانفجار القنابل حيث يتمزق غشاء طبلة الأذن..

٤- التأثير على الدورة الدموية

التقلصات في الشعيرات الدموية هو رد فعل طبيعي للضوضاء العالية ويؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم في المناطق السكانية الصاخبة بنسبة ٢٧٪ مقابل ٢,١٪ الأماكن الهادئة..

٥- التأثير على إنتاج العاملين وحسن الأداء

تنقص الكفاءة أثناء الضجيج ويزداد الخطأ والقصور ونرى

في الأرقام التالية لمجموعة عمل تم تقليل الضوضاء في الجو الذي يعيشون أو يعملون فيه:

أ- قلت الأخطاء الشخصية بمعدل ٢٩٪.

ب- قلت نسبة الانقطاع عن العمل بمعدل ٤٧٪.

ج- زادت نسبة الإنتاج بمعدل ٩٪ .

وفي دراسة في إحدى المدارس الفرنسية يمر بقربها أحد الطرق السريعة يتعرضون لضوضاء مستمرة تصل لأكثر من (٧٠ ديسيبل) تكثر أخطاؤهم الإملائية عند ترك النوافذ مفتوحة وتقل عند إغلاقها!



توفير احتياجات الإنسان... سبيل للتنمية

تدعو التنمية البشرية إلى توفير احتياجات الإنسان من كافة الجوانب للشروع بعملية التنمية، وإن هناك العديد من الدراسات المهمة المعنية بتحفيز العاملين من خلال توفير الاحتياجات الفعلية للإنسان وهي:

١ - **الاحتياجات الفسيولوجية:**

وهي تتعلق بالاحتياجات الأساسية للمعيشة مثل الزواج والغذاء والملبس..

ولقد عالجت الشريعة الإسلامية هذا الموضوع منذ البداية ولبّت احتياجات النفس البشرية أو قدمت لها البدائل عنها..

يقول النبي ﷺ في الدعوة إلى الزواج: «من استطاعَ الباءَةَ فليتزوجْ، فإنه أغضُّ للبصرِ، وأحصنُ للفرْجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[1].

ولم يكتف الإسلام بالدعوة للزواج بل شجّع على النوعية فيقول النبي ﷺ: **«عليكم بالأبكار، فإنهن أنتقُ أرحاماً، وأعذب أفواهاً، وأرضى باليسير »**[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) . رواه الطبراني في الأوسط.

وأما الغذاء الذي هو إضافة لكونه شهوة فهو مصدر الطاقة للإنسان فقد أباحت الشريعة الإسلامية أنواع المأكولات والمشروبات ولم تحرم إلا القليل منها وإنَّ ما أباحته الشريعة من المأكولات والمشروبات لا يقارن البتة مع ما حرمت..قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وشجعت الآخرين على أن يطعموا الناس، وجعلت المُطعِمَ من أخيار الناس، والإطعامَ من خير العمل، فقد ورد أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال «**تُطعمُ الطعامَ، وتَقرأ السلامَ على من عرفتَ، ومن لم تَعرف**»[(1)].

كما أباحت الشريعة الإسلامية الملبوسات على أن تكون ساترة، وكما هو حال المأكولات فالحالُ يسري على الملبوسات، فلم يحرم من الأقمشة إلا الحرير على الرجال، وأبيح ما دون ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) رواه البخاري.

ثم أوصى الإسلام بالبياض من الثياب، لكون اللون الأبيض هو لون ترتاح له العين، و الأبيض في العادة يعكس جميع الأشعة الساقطة عليه فترتاح العين الناظرة وتشاهد الصورة كأوضح ما تكون، وعُرف عند عامة الناس بلون التفاؤل والفرح والسعادة، وعادة ما تلبسه النساء في الأفراح، وزيادة على ذلك فإن اللون الأبيض لون جميل وصافٍ يعطي إحساساً بالوسع للمكان، بجانب أنه يُعطي إضاءة صافية للغرفة وهو لون يعبر عن الصفاء والصدق والشفافية، يقول النبي ﷺ: «**عليكم بالبياضِ من الثِّيابِ، فليلبسها أحياؤكم، وكفِّنوا فيها موتاكم، فإنَّها من خيرِ ثيابكم**»[1].

٢- احتياجات الأمان:

وهي حاجة الفرد إلى الأمن والأمان في حياته اليومية.. وإنَّ من متطلبات الحياة الرئيسية أن يشعر الإنسان أنه يعيش في أمان سواء في بيته أو في وطنه أو في مكان عمله، يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم.

﴾ [الأنفال:٢٦]. وهنا يشير القرآن الكريم إلى مناحٍ مهمة في سياق الآية هي أعمدة أساسية في مجال التنمية البشرية فالإسلام يبدل الخوف بأشياء هي: المأوى ثم التأييد ثم الرزق من الطيبات..

٣ - الاحتياجات الاجتماعية:

وهي رغبة الفرد بأن يكون مقبولاً في الوسط الاجتماعي والرغبة في الحب والعطف.. فإن السيدة عائشة ﵂ كانت تقول: (**أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم**)[١].

٤- احتياجات تقدير الذات :

وهو حاجة الفرد إلى الاحترام والتقدير والمكانة الاجتماعية. فعن علي بن أبي طالب ﵁ قال: (**كنا جلوساً عند النبي ﷺ فجاءه عمَّار**(بن ياسر) **فاستأذن، فقال: ائذنوا له، مرحبا بالطيِّب المطيَّب**)[٢].

وإن هذه الاحتياجات بمجملها هي احتياجات لتحقيق الذات، وإنَّ أعلى مستوى من الاحتياجات هو رغبة الفرد أن يحقق ذاته من خلال تنمية واستخدام قدراته..

ولذلك سعى الإسلام لتوفير حد الكفاية وليس حد الكفاف

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

وهو منهج تنموي عظيم.. حيث يقول النبي ﷺ: «**من ولي لنا عملاً وليس له منزلٌ فليتخذْ منزلاً، أو ليستْ له زوجةٌ فليتزوجْ، أو ليس له خادمٌ فليتخذ خادماً، أو ليس له دابّةٌ فليتخذْ دابةً، ومن أصابَ شيئاً سوى ذلك فهو غالٌّ**..»[١]، وفي رواية[٢]: (قال أبو بكر: أكثرتَ يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **من أصاب سوى بعد ذلك فهو غالٌّ**).. وهذا الأصل من أعظم الأصول في التنمية، وهو الأصل الذي يكون الإنسان فيه منتجاً وليس عبئاً على أحد، وليكون تفكيره مصروفاً للإنتاج والإبداع، وليس منشغلاً في توفير أساسيات الحياة من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وغيرها..

والمُنتج لابد له من صنعة أو حرفة، فيقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **إني لأرى الرجلَ فيُعجبني، فأقول: له حرفةٌ؟ فإن قالوا: لا؛ سقطَ من عيني.**

وأساس آخر أُقرّ في منهج التنمية الإسلامي، **وهو القضاء على الطبقية في المجتمع لأنَّ الناس سواسية كأسنان المشط**، كما ذكرنا في موضع سابق من هذا الكتاب في حقوقهم على الدولة

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

مع اختلاف واجباتهم، وإن تقييمهم بموجب تقواهم وخدمتهم لمجتمعهم وإخلاصهم في عملهم، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣].

عن جرير ﷺ قال: (أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجلٍ ترعدُ فرائصه قال فقال له: « **هوِّنْ عليك فإنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريش كانت تأكلُ القديدَ في هذه البطحاء**». قال: ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥][1].

وبذلك أقرَّ ﷺ مبدأً أصيلاً وصريحاً في التنمية البشرية وأعطى درساً مهمّاً في موضوع المساواة ورفع الطبقية والبيروقراطية عندما ربط القضية بالأساس الأخلاقي الاجتماعي، فأخبر الرجل بأنه ابن امرأة كانت تأكل القديد في البطحاء على الرغم من أنه القائد الأعلى في البلاد وهو رئيس الدولة..

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه وهو حديث صحيح على شرط الشيخين.

الشكر وسيلة للتنمية

انفردت الشريعة الإسلاميةُ بأمر مهم للغاية في مجال التنمية بشكل عام، وفي التنمية البشرية بشكل خاص، وهو (الشكر) حيث ربطت الزيادة في التنمية بمقدار ما يقدم الإنسان من شكر لله سبحانه وتعالى..

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وبالنظر لأهمية الشكر بالنسبة للإنسان فقد جعله الله بعد العبادة، فحين أمر الله العبد أن يعبد الله وحده لا شريك له أمره مباشرة أن يكون من الشاكرين؛ لأهمية الشكر وارتباطه بمفهوم العبادة ارتباطا وثيقاً ولأهمية الشكر في تقدم الإنسان ومستقبله ويتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٦].

ولكن الإنسان من فرط جهله لا يعمل بهذه الحقيقة أما لجهله بها أو لتمرده أو ربما لأسباب أخرى، لذلك يقرر القرآن الكريم أن هذا الصنف من البشر (**الشاكرين**) قليلٌ، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

بل يعود القرآن الكريم مرة أخرى ليؤكد في أكثر من سورة على أن أكثر الناس (**لا يشكرون**) وهذه طامة كبرى نازلة بالناس وهم لا يشعرون بها، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وهذه الحقيقة نصّاً وردت أحيانا كآية وأحياناً كجزء من آية في كل من سورة غافر ٦١، و النمل ٧، ويوسف ٣٨، ويونس ٦٠، ولعل الأنبياء عليهم السلام من هؤلاء القلة من البشر لإيمانهم بأن الإنسان لا ينبغي له إلا أن يكون شاكراً لله لأن ذلك هو السبيل الضامن لتطوره وتقدمه، وذلك هو السرُّ الذي وعاه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام حين دعا لأهله حين أمره الله أن يسكنهم بذلك الوادي المقفر وختم دعاءه بقوله (لعلهم يشكرون)، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

كما أقر الإسلام حقيقة أخرى هي أنَّ نتائج شكر الله الإيجابية والتنموية يكون عائدها للإنسان حصراً، وليس غير ذلك، بمعنى أنَّ ذلك لا يزيد من ملك الله شيئاً وإنما هو لفائدة الإنسان خاصة في الآخرة فجعل ثوابها مرتبطاً بالشكر في قوله

تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان:١٢] وللشكر أركان لابد للإنسان أن يحققها حتى يكون من الشاكرين وهذه الأركان هي:

الركن الأول: أن يقرَّ الإنسانُ ويعترف أنه في نعمة على الحال الذي هو عليه، فينظر إلى من هو أدنى منه في الدنيا فسيرى أنه بنعمة ومثال ذلك من منحه الله عيناً واحدةً عليه أن ينظر إلى من لا عين له ومن منحه الله ديناراً واحداً فلينظر إلى من لا يملك حتى ثمن رغيف الخبز.. يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

الركن الثاني: أن يؤمن إيماناً راسخاً لا يقبل الشك أن هذه النعمة من الله وحده لا من غيره، فلا يقول: بجهدي، أو: بفضل فلان، إنما الجهد وفلان أسبابٌ يجعلها الله لإيصال هذه النعمة للإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

وقد فهم سليمان عليه السلام هذا القصد حين قام ذلك الشخص بنقل عرش بلقيس أمامه، يقول الله سبحانه وتعالى في هذه القصة: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

الركن الثالث: أن ينفق هذه النعمة مهما كان شكلها وحجمها ونوعها في طاعة الله، لا في عصيانه أو في طاعة غيره، كما نرى الكثير والكثير من الناس ممن ينفق أو يسخِّر نعماً كبيرة أسبغ الله عليه بها بغير ثمن وبلا مسألة منه وكان له حظٌّ وافرٌ منها ولكنه يسخرها لخدمة بشر مثله لا يضرون ولا ينفعون.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].



العادات السبع للنجاح

يتناول علم التنمية البشرية بكثرة وبالتفصيل موضوعاً في غاية الأهمية في باب النجاح والناجحين في الحياة.. سمَّاهُ العادات السبع للنجاح أو العادات السبع للأشخاص الأكثر تأثيراً، أو العادات السبع للأشخاص ذوي الفعالية العالية.. حيث أَلَّفَ العالم ستيفن أر كوفي (Stephen R. Covey)، كتاباً بعنوان:

(The Seven Habits of Highly Effective People)

أي: **العادات السبع للأشخاص الأكثر فعالية..**

وقد تُرجم الكتاب إلى ٣٣ لغة، وبيع منه أكثر من ١٥ مليون نسخة، و هناك أكثر من خمسة ملايين متدرب حول العالم قد استفاد من برنامج (العادات السبع للأشخاص ذوي الفعالية العالية) للارتقاء بحياته الشخصية والعملية.. يقول الدكتور ستيفن آر كوفي: (**إن الهدف الرئيسي من الالتحاق ببرنامج العادات السبع وورشة العمل هو أن تتعلم كيف تقود حياتك بطريقة فعالة حقاً**) وهي ليست وصفة سحرية لتحقيق المستحيل وإنما هي منهج للارتقاء والتطوير المستمر في إدارة الذات أولاً ثم إدارة العلاقات مع الآخرين، هذا الأمر لا يتطلب بذل الجهد

المخلص والمستمر فحسب، بل يتطلب الكثير من الصبر والكثير من " لا يا نفسي "، فكلنا يعلم بأن التغيير والتطوير لا يحدث في غمضة عين، لذا كان لزاماً على الفرد بذل الجهد الحقيقي مع الالتزام والصبر لمدة قد تطول لحصد ثمار تبني مبادئ علم وثقافة العادات السبع للأشخاص ذوي الفعالية العالية في حياته. يقول الدكتور: "إن جميع تصرفاتنا تنبع من تصوراتنا الذهنية " (محور التفكير) وبناءً على ذلك فإن جميع ما نقوله أو نفعله أو نشعر به وحتى ردود أفعالنا تجاه المثيرات من حولنا تنبع من محور التفكير، فعندما يترسخ في الذهن تصور ذهني معين يتولَّد سلوكٌ موافقٌ لذلك التصور الذي حقيقته تفكراً وتدبُّراً..

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران ١٩٠ - ١٩١].

واعتقد ستيفن كوفي أنه جاء بعلم جديد وثقافة جديدة، وأنَّه وضع للبشرية منهجاً جديداً، إذ يدعو منهج الكتاب إلى التحرر من تبعية الآخرين والاعتماد على الذات من أجل النجاح، حيث

يوضح كوفي بأن الأشخاص الناجحين استطاعوا أن يجعلوا العادات الإيجابية المفيدة (عادات الفاعلية والتأثير) جزءاً من حياتهم اليومية، لقد اعتمد هذا العالم في تعيينه لهذه العادات بدراسة مجموعة من الشخصيات المتميزة والفعالة على مر التاريخ، واستطاع استخلاص سبع عاداتٍ أساسية تميزت بها هذه الشخصيات وجعلتْ منها شخصيات فعالة.

وتعرف العادة **بأنها نقطة الالتقاء ما بين" المعرفة" و "المهارة" و "الرغبة" ، ولكي نجعل من أمرٍ ما عادةً في حياتنا علينا أن نجمع العناصر الثلاثة معاً، ولأن هذه العناصر الثلاثة يمكن تعلمها، فكذلك العادات الفعالة بالإمكان تعلمها..**

و العادات السبع للناس الأكثر فاعلية كما جاء بها كوفي هي :

أولاً: كن مبادراً وسبّاقاً، أو: خذ روح المبادرة
(Pro Active)

وهذه هي العادة الأولى وتكون مرتبطة بالشخصية، وهي تساعد صاحبها على تحقيق (أهدافه اليومية)، وهو ما يحقق له (الاستقلالية)، والاعتماد على الذات بشكل واضح المعالم. وهذه الصفة هي التي تنمي عند الشخص خاصية تحمُّل نتيجة قراراته تجاه الأحداث والمواقف والمشاهد التي تمر كشخصٍ معنيٍّ

بالقرار لكي يستثمرها، فتكون وسيلة يندفع بها إلى الأمام وليس العكس.. فحين يكون الإنسان مبادراً تكون له مساحة كافية من الحرية الشخصية في اتخاذ القرارات المناسبة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وهذه الحرية لكي تكون إيجابية وتتوافق مع ردود أفعال الشخص مع قراراته فالمفروض أن يتهيأ الشخص بأن يتصف بمجموعة من الصفات منها: (أن يكون هادئاً بنفسه وهادياً للآخرين، لا أن يكون خصماً وحكماً بذات الوقت، وأن يكون مثالاً يُحتذى به وليس مقلداً لغيره ومقتبساً من الآخرين (مع اعتماد قدوة بشكل عام)، وأن يكون هو واضع البرنامج وليس مُبَرمَجاً، وأن يضع الموضوع المطروح ضمن أضيق دائرة له وضمن سيطرته هو، ولا يوسع الدائرة إلى مجالات لا يسيطر عليها، وأن يحافظ على الوعود ولا يختلق الأعذار..

ومن تطبيقات علم التنمية البشرية في هذا الركن النص التالي: (حاول ـ لمدة ثلاثين يوماً ـ أن تعمل في دائرة التأثير، أي: في حدود إمكاناتك واستطاعتك، حافظ على مواعيدك، كن جزءاً من الحلِّ لا جزءاً من المشكلة)..

ويلاحظ موافقته التامة لما جاء بقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ

ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢] وغير ذلك فإن شهر رمضان وهو شهر عبادة توقيفية نجد بين طياتها أموراً تربويةً في الصبر والطاعة وتهذيب النفس وتربيتها فلم يكن من المجازفات على الإطلاق أن يكون طول فترة الصيام ٢٩ - ٣٠ يوماً.

كما إن منهج الشريعة الإسلامية في بناء الشخصية يدعوها إلى المبادرة والتسابق إلى الخير وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨]..

(فاستبقوا الخيرات) هنا أي **بادروا** بالطاعة والأعمال الصالحية وأعمال الخير لأنفسكم وللآخرين واسبقوا غيركم إلى الفوز بالأولوية والأفضلية. ولا طاعة ولا فضل طبعاً إلا باتباع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، الذي يقول: (**بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنىً مُطغياً، أو مَرضاً مُفسداً، أو هَرَماً مُفنداً، أو مَوتاً مُجهِزاً، أو الدَّجالَ فإنَّه شرُّ مُنتَظَر، أو الساعةَ، والساعةُ أدهى وأمرُّ**)[1]، المفند: الفند بفتحتين هو ضعف الرأي من الهرم.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد.

و إن كـل إنـسان لديـه القـوة لاتخـاذ قراراتـه الشخـصية، والناجحون يعملون الأشياء التي يملكون القدرة على التحكم بها، وهذا ما يسمى بـ(دائرة التأثير) بدلاً من الانشغال بالأشياء الـتي لا يستطيعون التحكم بها وهي ما يسمى (دائرة الاهتمامات)..

ومن تطبيقات هذه النقطة أيضًا أن يقوم الإنسان بتحديـد مـا يقع في دائرة إمكانياته، أي: ما يستطيع فعله وفق أدواته وقابلياته وطاقته، وأن يركز اهتماماتـه وجهـوده لفـترة محـددة ثـم يلاحـظ نتيجة ذلك في عملـه، وذلـك متوافـق فيمـا قالـه القـرآن الكـريم بقوله تعـالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كما يقول النبي ﷺ في ذلك: «**خُذوا من العمل ما تُطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تَمَلُّوا** »[1]، وأحبُّ الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليها وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها...

ومن تطبيقات هذه العادة في علم التنمية البشرية أن ينتبه الشخص إلى أسلوبه في الكلام، هل يستعمل عباراتٍ انفعالية تعتمد على ردود الفعل؟ المفروض طبعاً أن تكون الإجابة بلا.. وهذا ما يدعو إليه الإسلام بعدم الانفعال واستثارة العواطف

(١) رواه البخاري.

لأي سبب كان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

بل وذهب الإسلام إلى ما هو أبعد من ذلك وأعطى الطرق والأساليب للتخلص من حالات هيجان العاطفة وانفلات النفس بسبب الغضب يقول النبي ﷺ: «**إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فليجلسْ، فإن ذهبَ عنه الغضبُ وإلاَّ فليضطجع**»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الغضبَ من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النَّار، وإنما تُطفأ النَّارُ بالماء، فإذا غَضِبَ أحدُكم فليتوضَّأ**»[٢]. فضلاً عن أن الإسلام يدعو إلى التأني بشكل دائم في أداء نشاطات الحياة المختلفة وترك العجلة لأن فيها النتائج الوخيمة، وحتى العبادات بل وفي أهم العبادات فيقول للنبي ﷺ: «**إذا أُقيمتِ الصلاةُ فلا تأتوها تَسْعَون، وأْتوها تمشُون، وعليكمُ السكينةُ، فما أدركتمْ فصلُّوا، وما فاتَكُم فأتمُّوا**»[٣].

وعلى ذلك ولكي يكون المرء مبادراً وبإيجابية عليه أن يسأل

(١) رواه أبو داود.
(٢) روا أبو داود.
(٣) رواه البخاري.

نفسه بشكل دائم السؤال التالي :(هل تنبع تصرفاتي بناء على اختياري الشخصي حسب ما تمليه علي مبادئي أم بناء على وضعي ومشاعري والظروف ؟)

والمبادرة كانت برنامجاً أساسياً في هدي النبي ﷺ حيث كان ﷺ يذهب بنفسه لوفود الحجاج والقبائل ليعرض عليها الإسلام، ولم يكن يجلس في مكان واحد ويتوقع أن يأتي إليه الناس، ولم يكن يكتفي بأن يرسلَ الصحابةَ يميناً ويساراً بينما يجلس هو ويأخذ موقف المتفرج، وإنما كان سبَّاقاً للعمل عليه ﷺ. ولهذا كان الدين الإسلامي دينَ دعوةِ الناس للحق والتحرك إليهم وعدم الجلوس والانتظار، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]

ولقد كان من الممكن أن يُنشرَ الإسلامُ بأمر من الله بدون عناء ولا تعب وما أيسر ذلك على الله - ولم يكن الأمر بحاجة لأبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي وغيرهم، ولكنها سنة كونية ماضية أن الله يريد من الناس العمل والعمل الدؤوب المتواصل وبعزيمة لا تلين لتحقيق الأهداف..

ثانياً: ابدأ وعينك على النهاية

Begin with the End in Mind

التخطيط والقيادة الشخصية

تدعو التنمية البشرية إلى التخطيط في كافة الأعمال صغيرها وكبيرها وصولاً إلى النهاية المرجوة وهي الهدف المحدد، وعلى المستوى الزمني يبدأ التخطيط بالعمل اليومي، فالهدف يجب أن يكون واضحاً منذ البداية، وهذه عادة الأشخاص الناجحين، فيبدأ التخطيط اليومي بأهداف واضحة المعالم، والمفروض أن يكون السعي حثيثاً من أجل تحقيقها، وبأعمالٍ محددة يُسعى لإنجازها، وهنا لابد من إشارة مهمة فأهداف الناس في العادة في مجال التنمية البشرية هي أهداف دنيوية، وقد تكون ساميةً، فأهل الجد في الدنيا من العقلاء تكون أهدافهم سامية وإن كانت دنيوية، أما الإسلام فقد جعل الهدف هو (الجنة)، وربط هذا الهدف بكل أفعال الإنسان في حياته صغيرها وكبيرها، ويدخل في ذلك إدارة الوقت وأهميته، ويقصد **بالوقت الإبداعي**، ذلك الذي يخصص لعملية التفكير والتحليل والتخطيط المستقبلي، أو ذلك الذي يصرف في تحسين وضع الأداء وتطوير الإنجاز، أو ذلك الذي نحقق منه أرباحاً أفضل.

وليس بالضرورة أن يكون الإنجاز فورياً، لأن الوقت الذي يصرف لأجل ضمان المكاسب في المستقبل، كحل أزمات أو تقويم ارتباطات أو تكوين روابط وعلاقات، هو أيضاً وقت إبداعي، يقول جون ماتوك وهو أحد خبراء التنمية البشرية والإدارة العالميين: (فالأشخاص الذين يشعرون بالارتياح قليلاً حول أهدافهم غالباً ما يحصلون على صفقات أفضل مما يحصل عليه أولئك الذين ينتابهم القلق الشديد حول المشكلة)، عن خباب بن الأرت: قالوا شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردةً له في ظِلِّ الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ فيُحفرُ له في الأرض فيُجعل فيها فيُجاءُ بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد بين لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليَتِمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخاف إلا الله، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1].

فهنا يدعو النبي ﷺ إلى التركيز على الهدف المرسوم في الحياة، وعدم الالتفات إلى بعض التفاصيل الصغيرة مهما كانت قاسية أو

---

(١) رواه البخاري.

مؤلمة كي لا تكون هذه التفاصيل سبباً في انهيار الأمور وعدم تحقيق الأهداف حين يقول لهم: (**لا يصرفه ذلك عن دينه**)، لقد كان الهدف وما زال هو الدين، ليس دين العبادات فحسب بل هو دين العبادات والمعاملات ومنهج الحياة الذي جاء به الإسلام وبقي رسولُ الله يدعو إليه ومازال الدعاة يدعون إليه وستستمر الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنه طريق الجنة.

إن الناجحين يعلمون أن الأشياء تبدأ كأفكار في العقل قبل أن تتحقق على أرض الواقع، لذلك فهم يكتبون أهدافهم ويجعلونها أساساً عند اتخاذ قراراتهم المستقبلية.

إنهم يحددون بدقة وعناية (أولوياتهم) قبل الانطلاق لتحديد أهدافهم ويضعون الخطط اللازمة لذلك، أما المخفقون فيسمحون لعاداتهم القديمة، ولأناس آخرين، وللظروف المحيطة بهم أن تملي عليهم أهدافهم، أو تؤثر في أولوياتهم أو تخطيطهم أو قراراتهم، إنهم يتبنون القيم والأهداف السائدة في مجتمعهم، وتقاليدهم، وثقافتهم، دون فحصها للتأكد من صحتها وسلامتها، أو مناسبتها لهم.

وقد انتقدت الشريعة الإسلامية هذا النوع من المخفقين ويتجلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ

أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤]، وهؤلاء يشرعون في خوض غمار الحياة نحو النجاح بطريق خطأ، فإذا وصلوا إلى آخر الطريق اكتشفوا أنهم يسيرون في غير الطريق المطلوب! إن الوجود الفعلي المادي للهدف، يتبع الوجود الذهني، فعلى سبيل المثل، يحتاج إنشاءُ مبنًى على الأرض وجود مخططات مسبقة لهذا البناء. فإذا كان المخطط صحيحاً، وممتازاً، وتم التنفيذ بالشكل المطلوب كان البناء ممتازاً..

إن من التطبيقات العملية لهذه العادة الثانية حسبما يراها علم التنمية البشرية أن يتأمل الشخص الفرق بين (القيادة) و(الإدارة)، ويعزم على الاتجاه الذي يريد المضي فيه والغايات التي يريد الوصول إليها في حياته وحسب المنهج الإسلامي، فإن الغايات والوسائل جميعاً ينبغي أن تكون صحيحة وحقيقية وايجابية، وينتج عنها فائدة عملية للشخص نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه..

فالإدارة من وجهة نظر إسلامية هي تكليف بواجب أو ما يعرف بوظيفة ضمن المجتمع ،يكلف من يقوم بها ويدير شؤون من بمعيته.. في حين أن القيادة مواصفات خاصة لا يمكن أن

يضطلع بها أي شخص لأنها تحتاج إلى اتخاذ قرارات ربما تكون صعبة أو يتوقف عليها مصير الأمة،والقيادة كذلك تحتاج إلى قوة في الشخصية وهذا هو سر تكليف النبي ﷺ لأسامة بن زيد لقيادة الجيش الإسلامي رغم صغر سنه ووجود الكثير من كبار الصحابة..

ومن التطبيقات الأخرى لهذه العادة أن تختار مجموعة من الناس ممن حولك، كأن يكون (أحد أفراد أسرتك، صديقاً، رجلَ دين، زميلاً في العمل) ثم تكتب ما تود أن يقولوه فيك بعد وفاتك.. وهذا الأمر جاء به القرآن قبل ذلك حين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة ١٠٥].

وفي معركة أحد لمَّا شُجَّت وجنتاه ﷺ وكُسرت رَباعيته (السِنَّان الأماميان بالفك) يوم أُحد رفع يديه إلى السماء،فظن الصحابة أنه سيدعو على الكفار، ولكنه قال: «**اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون**»..

فلقد كان هدف النبي ﷺ هو أن يدعو الناس إلى الإسلام وليس أن يهلكوا لذلك لم يدع عليهم، وهو نفس الهدف حين أوذي رسول الله ﷺ في مكة فخرج إلى الطائف، وقام أهل

الطائف يرمونه بالحجارة، فأُدميت قدماه الشريفتان، وشكا إلى الله تعالى ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، **فنزل جبريل عليه السلام**، فنادى رسول الله «إن الله قد سمع قولَ قومك لك وما ردوا عليكَ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم»، ثم إن ملك الجبال قال للنبي ﷺ: «إن شئت أطبقُ عليهم الأخشبين». فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1].

فلم يكن هدف رسول الله أن يهلك أهل الطائف أو أهل مكة بل كان هدفه أن يهديهم الله للإسلام ولقد تحقق ذلك فيما بعد..

وكان ﷺ أحيانا يضع بنفسه للبعض من الصحابة أهدافا ليجعلوه نصب أعينهم وكما حصل مع **أم حرام** الصحابية الفاضلة فهي تحدث عن الموضوع فتقول: إن النبي ﷺ قال يوماً في بيتها (نام وقت الظهيرة)، فاستيقظ وهو يضحك، قالت: يا رسول الله ما يضحكُكَ، قال: (**عجبتُ من قومٍ من أمتي يركبونَ البحر كالملوك على الأسرَّة**). فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (**أنتِ معهم**). ثم نام فاستيقظ وهو

---

(١) رواه البخاري.

يضحك، فقال مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قلت: **يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فيقول: (أنت من الأولين)**. فتزوج بها عبادة ابن الصامت، فخرج بها إلى الغزو، فلما رجعت قربت دابة لتركبها، فوقعت فاندقَّت عنقها[1].

ثالثاً: الأَوْلَى أولاً

Put First Things First

تعني هذه النقطة ترتيب أولويات الأعمال للوصول إلى الأهداف، وإن اتصالها وثيقٌ ومباشرٌ بموضوع (إدارة الوقت)، وبترتيب الأمور المشار إليها في العادة الثانية، التي ينبغي القيام بها بحسب أهميتها. فلقد تبين من الدراسات التي أجريت في المراكز البحثية المعتمدة و المتخصصة في هذا المجال أن ٨٠ ٪من النتائج المرجوة هي حصيلة ٢٠ ٪ من الجهود المركزة المبذولة من أجل تحقيقها.

لذلك في حالة الرغبة في استثمار الوقت استثمارا أمثلَ فيجب التقليل من الاهتمام بالأمور القليلة الأهمية وإن كانت مستعجلة، وأن نخصص وقتاً أطول للأمور الأهم التي قد لا تكون بالضرورة مستعجلة. إن الأمور المستعجلة الطارئة تتطلب

---

(١) رواه البخاري.

اتخاذ إجراء مستعجلٍ وفوريٍّ حيالها وهو ما يضيع علينا الوقت اللازم للقيام بالأمور الحيوية الصحيحة والمهمة والتي هي غير مستعجلة، ويمكن تأخيرها قليلاً دون حصول ضرر يذكر من هذا التأخير.

والمنهجية التي سار عليها الإسلام هي أن الوقت شيء ثمين، وأن العمر هو الوقت الممنوح للإنسان، وهو منحةٌ من منح الله سبحانه وتعالى للإنسان فيجب استغلاله في أبواب الخير، لا في توافه وسفاسف الأمور، فقد روي في هذا الباب، (**أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: من طالَ عمرُهُ وحَسُنَ عملُهُ. قال: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قال: من طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ**)[1].

ووقت الفراغ نعمة أخرى إضافية فربما يكون الإنسان منشغلا في كثير من الأمور وليس لديه الوقت الكافي لبقية الأعمال وهو ما يعرف بـ(وقت الفراغ)، **قال النبي ﷺ**: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحَّة والفراغ**»[2].

وبعد كل هذا فإن الإنسان سيسأل عن وقته، عن كل ساعة

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

ودقيقة وثانية من عمره وهذا السؤال هو سؤال من أجل تقرير المصير وليس سؤالاً عادياً، يقول النبي ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»[1].

والإسلام يراعي هذا الجانب ليس من زاوية الوقت فقط، وإنما من زاوية أخرى هي نوعية العمل، والأولوية في الأعمال أثبتها القرآن الكريم حين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

وهو ترسيخ لمفهوم الأَوْلى ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون ٩].

نلاحظ هنا أن الأموال والأولاد ليست شيئاً غير مهم، بل لهم الأهمية ولكن ذكر الله أهم فتتقدم عليها في الأولوية لذا علينا أن نكون (مبادرين) في إنجاز الأمور المهمة غير المستعجلة وعندما نستطيع أن نقول: (لا) لغير المهم نستطيع أن نقول:

---

(١) رواه الترمذي.

(نعم) للمهم. وإذا لم نفعل هذا فإن الأمور الطارئة العاجلة ستملأ علينا وقتنا، وقد تفسِدُ في المآل حياتنا، وهذا ما يؤدي إليه التخطيط اليومي دون التخطيط الأسبوعي أو الشهري أو السنوي، لأن التخطيط اليومي يتعامل مع القضايا والمشكلات التي تتطلب حلولاً سريعة، دون أن يكون لها نفع في تحقيق الأهداف الكبرى على المدى البعيد أحياناً. وهذا هو سر أفعال النبي ﷺ في علاقته مع ربه تبارك وتعالى كان يقدم التوحيد على كل شيء ثم تليه الفرائض ثم السنن والنوافل، ومثال آخر في أولوية الأعمال وارتباطها بالوقت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

ويلاحظ أن الشريعة الإسلامية ركزت في أوائل المرحلة المكية في الدعوة على بناء الشخصية المسلمة، ولم يكن فيها الكثير من الفرائض والحدود والأحكام،لأن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام، فكانت الأولوية لبناء الشخصية وتصحيح مسار عقيدتها وعلاقتها بالله خالقها.

ثم بدأ رسول الله ﷺ مجتمعه في المدينة بعقد تحالفات مع جيرانه في المدينة لكي يؤمن جانب من هم بجواره أولاً قبل أن

يبدأ هو وصحابته بمهاجمة قوافل قريش التي سرقت أموال الصحابة وكل ما تركوه وراءهم في مكة. أي أنه أمن مجتمعه أولاً وبعدها قرر أن يرد على اعتداءات قريش. **أقول: فكيف بمن لا يخطط حتى ليوم واحد، وما أكثرهم بيننا!!** والتخطيط يكون بالاعتماد على الذات وليس على الآخرين، فمن المعيب أن نطلب من الآخرين أن يخططوا لنا للوصول إلى أهداف تعنينا نحن وتخص حياتنا..

فيقول النبي ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعةً، تقولون: إن أحسن الناس أحسنًا، وإن أساؤوا أسأنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أساؤوا ألّا تظلموا**»[1] ،**والإمّعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه**.... وهذا أيضاً أقرّه كبار صحابة النبي ﷺ حين كان يموت الميت وعنده ثوبان أحدهما جديد والآخر ليس كذلك، فيتركون الجديد لأهل الميت ويكفنونه بالقديم (مع كونه مناسباً ونظيفاً).. وكأنّهم يقولون: **الحيّ أولى من الميت..** وهذا على المستوى الشخصي، أما إذا كان الإنسان في جماعة فقد تختلف أولويات الجماعة وتكون هي المقدَّمة، وهذا أصل من أصول الفقه الإسلامي في أن مصلحة

(١) رواه الترمذي.

الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد.

كما يدعو علم التنمية البشرية إلى النظر إلى أولويات الخصم أيضا في حالة وجود خصم في القضية..

رابعاً: فكر في المصلحة المشتركة

Think win / win

ربح / ربح

(المنفعة للجميع)

والمقصود هنا أن يحرص الناجح على تحقيق الربحية له وللأطراف المتعاملة معه أو من يعيش معهم، ونمط التفكير "ربح/ربح" وهذه ليست تقنية وإنما فلسفة شاملة للتعاملات الإنسانية وهو مبدأ أساسي للنجاح في جميع تعاملاتنا، وهو يعني أن الطرفين ربحا لأنهما اختارا الاتفاقات أو الحلول التي تفيد وترضي الطرفين مما يجعل كلا الطرفين يشعر بالراحة لقراراتهم وبالالتزام لأدائها. والشخص الذي يفكر ربح / ربح وتسمى أحياناً فوز/ فوز، لديه ثلاث سمات أساسية، **الاستقامة و النضج والوفرة العقلية.** فالإنسان المستقيم صادق في أحاسيسه ومبادئه والتزاماته، والناضج يترجم أفكاره ومشاعره بجرأة مع مراعاة مشاعر الآخرين وأفكارهم، والأشخاص ذوي الوفرة العقلية

يؤمنون بأن هناك ما يكفي للجميع، ويعترفون بالإمكانيات غير المحدودة لتنمية التعامل الإيجابي والتطوير، مما يخلق بديلاً ثالثاً جديداً ومقبولاً من الطرفين، وإن التعامل بمنطق: إذا كسب الآخرون فسأخسر، يجعل الحياة صعبة.

وهذا المنطق ليس صحيحاً دائماً، بل العكس هو الصحيح في كثير من الأحوال. فابحث عن طرق ووسائل للتعاون بدل التناوش مع الآخرين.. هذا باختصار مفهوم العادة الرابعة عند كوفي ولنأتي الآن لننظر لهذه العادة من زاوية الإسلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

آية قرآنية يدعو فيها النبي المرسل من الله قومه إلى مبدأ ربح - ربح فيقول لهم: إن أطعتموني ستهتدون إلى سبيل الرشاد، وهل هناك أكثر ربحاً من الرشاد؟ بطبيعة الحال هو ربح ما بعده ربح.. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١ - ٤٣].

أن أعظم عمليات التفاوض السياسي حدثت مع النبي ﷺ والتي استخدم فيها مبدأ الفوز لكلا الطرفين ولكن فوز النبي كان باتجاه المبادئ والقيم والحق والأخلاق، بينما يعطي للآخرين ما يريدونه من مكاسب دنيوية أو شكلية وهم يطلبون ذلك لسبب بسيط هو أنهم مستندون لعقيدة خاوية غير راسخة وغير حقيقية، كما حصل مع النبي ﷺ يوم كان المشركون يلاحقونه في هجرته من مكة إلى المدينة، حين أوشك سراقة بن مالك أن يصل إلى النبي ﷺ وعلى الرغم من أن النبي ﷺ كان ممنوعاً من سراقة إلا أن النبيُّ أبرم معه اتفاقاً على مبدأ (فوز - فوز) فكان واجب سراقة أن يضلل من يبحث عن النبي ﷺ مقابل أن يحصل سراقة على سواري كسرى حين تفتح فارس.

وكذلك ما حصل يوم صلح الحديبية حين جلس سهيل بن عمرو يعقد الصلح مع رسول الله ﷺ، فحين أمر النبي ﷺ أن يكتب (هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله...الخ) رفض سهيل ذلك وأراد أن يكتب محمد بن عبد الله.. فوافق النبي ﷺ على ذلك لأنه رسولُ الله صدقاً وحقّاً، شاء سهيل أم أبى، ولكنه أراد أن

يمنح سهيلاً مكسباً مقابل أن يوقع عهد الصلح مع المسلمين الذي كان فيما بعد فتحاً مبيناً ونصراً كبيراً للمسلمين.

خامساً: تفهم الآخرين أولاً
ثم اطلب منهم أن يفهموك

Seek to Understand Before you are understood

كثيرا ما نخفق في تحقيق أهدافنا لأن الآخرين لم يفهمونا جيداً. وهم يفعلون ذلك لأننا لم نعطهم الوقت الكافي لنفهمهم. معادلة بسيطة جداً، إذا أردت من الآخرين أن يفهموك فعليك أن تبادر في ذلك وتفهمهم أوَّلاً، والنجاح الحقيقي في هذا الباب هو أن نستطيع إيصال ما نريد قوله للآخرين دون أن يُساء فهمنا، وعندما نستمع بقصد الفهم تصبح اتصالاتنا أكثرَ فعالية، ونعبِّر عن أنفسنا بطريقة أفضل، كما وعلينا أن ندع تحوير كلِّ شيء حسب رغباتنا ونوقف قراءة توجهاتنا في حياة الآخرين ونبدأ في الاهتمام بما يحاول الآخرون قوله ونكون مستعدين أكثر للإنصات بقصد الفهم والتجاوب والاستفادة أيضاً فذلك هو الجسر الذي يمكن بواسطته الوصول للآخرين.

إن الاستماع بشكل جيد للآخرين أمر مهم من ناحية إمكانية أن يطرح الآخرون أفكاراً هامة جدّاً أو يكشفوا عن أشياء كانت

خافية قد تؤدي إلى قلب كل التوقعات، بحيث تجعل الشخص يترك كل ما كان يفكر فيه ليبدأ من جديد البداية الصحيحة.

والجزء الثاني من هذه العادة **أن تحاول أن يفهمك الآخرين** تحتاج إلى الجرأة والمهارة، الجرأة في التعبير عن مشاعرك الحقيقية بتفتح وبصدق، ومهارة لتبين بشكل جيد وجهة نظرك، وبناء على قدراتك يفهمونك فحاول أوَّلاً أن تفهمهم والإصغاء مهارة وفن ولها دور كبير في تقوية علاقتنا مع الآخرين وتتيح لنا تبادل المعلومات مع الآخرين بجدوى وفعالية أكثر ومن مشاكل التواصل مع الآخرين اعتقادنا بأننا مفهومون للآخرين، والحقيقة أن الآخرين لا يمكن أن يعرفوا ما بداخلنا إلا إذا أفصحنا نحن عن ذلك، ولا يمكن أن نعرف ما بدواخل الآخرين دون أن نشجعهم على الإفصاح عمَّا يجول في نفوسهم، فكلما تمكنا من التعبير عن مشاعرنا أكثر اقتربتْ المسافاتُ بيننا وبين الآخرين، وابتعدنا عن المراء السلبي الذي لا طائل منه.

وقد كان أساسُ الفهم في القرآن الكريم هو مبدأ (**الحوار**) حين يكون الكلام بين اثنين من نفس المستوى أو النوع، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤].

وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الحوارات، منها: المحاورة التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون، والحوار بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود، والحوار بين لوط عليه السلام وبين قومه، و قصة شعيب عليه السلام مع قومه في سورة هود، فالآيات العشر الأولى من هذه القصة كلها حوار.

والحوار هو أن يتكلم الإنسان ويدلي بدلوه، ثم يعطي الفرصةَ للآخر ليقول ما عنده ويستمع له ويتفهم مقالته، بغض النظر عن مدى صحة أو حقيقة ما يقول المقابل..

وهذا يتطلب مهارات معينة للتواصل مع الآخرين، كاستخدام الكلمات بطريقة فعالة وصحيحة والوضوح في الكلام، واستخدام لغة الجسد أحياناً كنظرات العينين وحركة اليدين وطريقة الجلوس وعدم السخرية والاستهزاء بالآخرين والسيطرة على الانفعالات.

وحين نقرأ نصَّ وصية أبي بكر ﷺ لأول بعث وجهه للجهاد بعد وفاة الرسول عليه السلام: (**يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر: لا تخونوا، ولا تغُلُّوا، ولا تغدُروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا**

بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً فاذكروا اسم الله عليها)[١]، وهذه الوصية فيها فهم كبير وواسع للآخرين ورغباتهم وأمنياتهم وحقوقهم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله**»[٢].

وأن تُحِّدثَ الناسَ بما يفهمون وما تدركه عقولهم يستوجب فهم ودراسة إمكانياتهم ومستوياتهم الثقافية والعلمية، كما أن الأمر يتطلب معرفة عاداتهم وأعرافهم الاجتماعية وما إلى ذلك..

وتفهم الناس في النظام الإسلامي يعني أن تكون معهم في حالة واحدة تشعر بما يشعرون كأقصى ما يكون من التفاهم، يقول النبي ﷺ: «**مَثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مَثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحمَّى**»[٣].

---

(١) رواه مالك، والبيهقي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

سادساً: اعمل مع الجماعة

Synergize

تدعو هذه العادة إلى التعاضد مع الآخرين والعمل معا للوصول إلى الأهداف الشخصية من خلال الجماعة.. وهذه العادة مع العادة الرابعة والخامسة يسميها علم التنمية البشرية (**عادات النصر الجماعي**).. وهذه العادات تنقلنا نقلة نوعية كبيرة في التعامل مع الآخرين لأن الإنسان يجب أن يدرك تماماً أن نتائج الحياة التي يعيشها تتناسب طردياً مع علاقاته مع الآخرين، وأن أكثر من ٥٠٪ من النجاح الذي يطمح له أي إنسان يرتبط بمن يعيش معهم؛ سواء في البيت أو في المدرسة أو الجامعة أو العمل بشكل عام..

وهنا أمر في غاية الأهمية وهو أن التعاضد والتكاتف مع الآخرين لا يعني الاعتماد عليهم وإنكار ذات الشخص بل على العكس تماماً فلن يكون هناك نتاج واضح مع الجماعة ما لم يعتمد الشخص على ذاته (مستقلاً)..

وذلك فرق كبير مع مفهوم (التبعية).. والإسلام يعترفُ باجتماعية الإنسان ويقرُّ بها، وأن الله خلقه ليعيش في جماعة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ونجد هاهنا أن الإسلام دعا بقوة قد تختلف عن باقي دعواته إلى أمور أخرى من صميم الإسلام.. فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

فالتعاون الجماعي يكون على البر والتقوى بالتحديد وليس على شيء آخر والمفروض أن يتوفر مبدأ العدالة فالأفراد سيتعاونون أكثر وبإخلاص إذا ما شعروا أنهم سواسية، فيقول النبي ﷺ في ذلك: «**كلُّكم بنو آدم، وآدمُ خُلق من تراب، لينتهينَّ قومٌ يفتخرون بآبائهم أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجُعْلان**»[١]، وقبل ذلك فقد أمر القرآن الكريم بالعدل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(١) رواه البزار.

[النحل: ٩٠] والمنهج الإسلامي في العدل يلزم الفرد أن يكون مبدأ العدالة ديدنه حتى مع غير المسلمين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٨]. وهنا قصة لابد منها تظهر ثمرة العدل وحقيقته في المنهج الإسلامي والقصة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين ولَّى عمرو بن العاص على مصر حدث أن كان هناك سباقٌ للخيل واشترك فيه محمد بن عمرو بن العاص ورجل ذمي (غير مسلم)، فاختلفا في فرس من فاز!! فقال محمد وهو ابن الوالي فرسي، وقال الذمي: فرسي، فأثير محمد فضرب الذميَّ على رأسه، وقال: خذها وأنا ابنُ الأكرمين!!

فانطلق الرجل مسافراً من مصر وذهب إلى عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة المنورة فشكا له ما حصل.. فلم يتأخر عمر، وفي الحال أرسل إلى عمرو بن العاص وأخبره أن يأتي بابنه معه فحضروا جميعاً، فقام عمر وأعطى الدرة للذمي وقال له: اضرب رأسَ محمد بن عمرو بن العاص، اضرب ابن الأكرمين.. فصار الذميُّ يضربُ ويضربُ حتى شفى غليله، وعمر بن الخطاب

يقول له: زد ابن الأكرمين، ثم طلب منه عمر أن يحول الدرة إلى رأس عمرو بن العاص لأنَّ ابنه لم يظلم إلا لأن أباه الوالي، لكنَّ الذمي قال: اكتفيتُ، ثم قال عمر بن الخطاب ﷺ قولته المشهورة: (**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً**)، هذه شذرة براقة من نظام العدالة في الإسلام، وهي حادثة حقيقية وليس تنظيراً أو كلاماً في الدعوة إلى نظام مثالي فحسب..

وحين يكون الإنسان مع الجماعة أو الفريق فإنه يكون في الخير، قَالَ الرسُول ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر. وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير. فطوبى لمن جعل الله مفاتيحَ الخير عَلَى يديه. وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشر عَلَى يديه**»[(١)].

وعن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**آمركم بخمس أمرني الله بهنَّ: الجماعةُ، والسمعُ، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فمن فارق الجماعةَ فقد خَلع رِبْقَة الإسلامِ من عنقه إلا أن يراجع**»[(٢)].. ويلاحظ هنا الترهيب الشديد من ترك الجماعة باعتبار مفارقها مرتداً وهو من الأمور العظيمة في

---

(١) رواه ابن ماجه والطبراني.

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه والنسائي والبيهقي.

الإسلام، وعن ابن عمر: (**أن رسول الله ﷺ قال: من خرج من الجماعة قِيْدَ شِبرٍ فقد خَلع رِبْقةَ الإسلام عن عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمامُ جماعةٍ فإن موتته ميتة جاهلية**)[١]. سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ، يَا رَسُولَ اللهِ! أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟قَالَ ﷺ: «**لا، وَلكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يعينَ الرَّجُل قَوْمهُ عَلَى الظُّلْمِ**»[٢].

وعن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المؤمنَ للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضاً، وشبك أصابعه**»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عنه قال: (**الزموا هذه الطاعةَ والجماعةَ، فإنه حبلُ الله الذي أمر به، وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة**). ولم يكتف الإسلامُ بالدعوة إلى الجماعة فحسب، بل دعا إلى أداء بعض العبادات جماعةً كالصلاة، ولم يكتف بالدعوة لذلك بل رغَّب ترغيباً شديداً فيها، فيقول النبيِّ ﷺ: «**صلاةُ الجماعة تفضُل صلاةَ الفَذِّ بسبع وعشرين درجة**»[٤]. وهذا دليل كبير على أن الدعوة للجماعة في الإسلام

---

(١) أخرج الحاكم وصححه.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.

ليس القصد منها مجرد أداء عبادات بشكل جمعي، بل لما فيها أيضاً من فوائد جمّة للإنسان في أمور حياته وبناء شخصيته، فضلاً عمَّا يكتسبه الإنسان من حسنات من أجل آخرته، ثم حذر من الانفراد والانشقاق عن الجماعة وبيَّن إن العواقبَ وخيمةٌ إزاء ذلك الفعل وما دام الأمر فيه جماعة فلا بد من وجود إمام أو أمير وهو ما يعرف في علم التنمية البشرية (القائد) أو رئيس المؤسسة، يقول النبي ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصْبر، فإنه ليسَ أحدٌ يفارق الجماعةَ شبراً فيموتُ، إلا مات مِيتةً جاهلية**»[1].

وطاعة القائد واجبةٌ لازمة دون النظر إلى جنسيته أو لونه، فيقول النبي ﷺ في هذا الباب: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه** »[2]. وغير ذلك فإن العمل مع الجماعة في الإسلام يقتضي المراقبة، وليس ترك الأمر على الغَارِب بلا رقيب ولا حسيب، فكانت منهجية الإسلام في هذا الباب أنَّ الرقيب العام هو الله ثم رسوله لمن عاشوا مع الرسول ﷺ، ثم المرحلة الآخرة من المراقبة وتقويم أعمال الإنسان وهي الجماعة

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

التي يعيش الإنسان معها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

فالجماعة أو الفريق جعلهم الله شهداءه في الأرض، وقد كان النبي ﷺ مع أصحابه فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: «وَجَبَتْ». ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شرّاً، فقال: «**وجبت**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبتْ؟ قال ﷺ: «**هذا أثنيتمْ عليه خيراً، فوجبتْ له الجنَّةُ، وهذا أثنيتمْ عليه شرّاً، فوجبتْ له النَّارُ، أنتم شهداء الله في الأرض**»[1].

فأي منظومة تنموية عظيمة تلك التي تجعل المخلوقَ الضعيفَ صاحب الشهوات وصفات النقص يسمو لأعلى الدرجات حين يكون مؤمناً، وحين تكون ثقته بالله عالية، فالمؤمن من شهداء الله في أرضه.

ودعت الشريعة الإسلامية إلى تنمية القيم الأخلاقية الرفيعة للجماعة كالشورى والمساواة والتعاون والتكافل الاجتماعي

---

(١) رواه البخاري.

والإصلاح بين الناس والعدالـة الاجتماعيـة ودعـت إلى جعلهـا ممارسات اجتماعية وليس تنظيراً فحسب..

سابعاً: اشحذ المنشار

Sharpen the Saw

فعندما تحرص على **شحذ سن المنشار باستمرار فإنك ستقطع الحطب بسرعة أكبر مما إن كان سن المنشار قديمًا**. والمقصود هو أهمية مراجعة النفس وتقييمها باستمرار وتطوير نواحي الضعف والقصور فيها وتذكير النفس بالمبادئ الأساسية التي تتصرف من خلالها. والجسم والعقل والروح يؤثِّر كلٌّ منها على الآخر فإذا اضطرب أحدها اضطرب الآخَر. فلا بد من السعي المتواصل إلى إيجاد التوازن فيما بينها وتوفير الغذاء والطاقة اللازمة لكل منها لكي تنمو وتترعرع بشكل سليم، ولكي نعمل بفعالية نحتاج إلى شحذ المنشار، بمعنى آخر نحتاج إلى صيانة وتطوير أنفسنا. ومفتاح النجاح لشحذ المنشار يكمن في العمل بصفة دوريه على الأبعاد الأربعة للتجديد وهي: **تنميتنا الإسلامية البدنية، و العقلية، و الاجتماعية، والروحانية،** وبحسابات الدراسات الرصينة في هذا المجال يحتاج الإنسان للعمل لمدة ٣ ساعات تقريباً أسبوعيّاً على كلِّ بُعد من هذه الأبعاد، ويلاحظ أن الصلوات المكتوبة مثلاً تستغرق ما يقارب

ساعتين على أقل تقدير أسبوعياً، ولو حُسبت مع النوافل لبلغت الثلاثَ ساعات، وهي تدخل في البعدين الروحي والبدني..

ويدلنا التشريع الإسلامي على الوسائل لشحذ الهمم، ومنها الاستعانة بالصبر و بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

والصبر المطلوب الذي يشحذ الهمم ويُقوِّي العودَ، ويربِّي النفسَ هو صبر الشدائد، وليس الصبر العادي، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: مر النبيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتَّقي الله واصبري**» قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنَّما الصبرُ عند الصدمةِ الأُولى**»[1].

والأمر الآخر الذي ورد في الآية بعد الصبر هي الصلاة، حيث يقول الدكتور ألكسيس كاريل حول موضوع القوى العظمى التي ينالها المؤمن من الصلاة: (**لعل الصلاةَ هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عُرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي**

---

(١) رواه البخاري.

طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير الطبية في علاجهم فلما رفع الطبُّ يده عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاةُ فأبرأتهم من عللهم، إن الصلاة كمعدن الراديوم مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط).

وقد قال رسول الله ﷺ: « **جدِّدوا إيمانكم** »، قالوا: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا قال: «**أكثروا من قول: لا إله إلا الله** »[1]..

وأوجب الإسلام أركاناً من شأنها أن تجدد الإنسان وتشحذَ همَّته، ومنها الحجُّ والحجُّ ركنٌ عظيم يتجدد فيه الإنسان من كل جوانبه تتجدد روحه، وعقله، وفكره، وقوته الجسمانية، فهو يخضع لبرنامج تعبدي منقطع النظير من الممارسات الروحانية والمادية والجسمانية، قال النبي ﷺ: «**من حجَّ هذا البيت، فلم يرفثْ، ولم يفسُقْ، رجَع كيوم ولدته أمه**»[2]..

كما أن الزكاة هي وسيلة أخرى لشحذ المنشار وإعادة تنظيم النفس، والزكاة في اللغة: النماء والتطهير. فالمال **ينمو** بها من حيث لا يُرى. وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب. وقيل: لينمو أجرها عند الله تعالى. وسميت في الشرع زكاة، لوجود المعنى اللغوي فيها. وقيل: لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه..

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه البخاري.

يقول (لكين شلتون) في كتابه "النجاح الحقيقي" : تُعدُّ الثقة بالنفس العنصرَ الأساسي الثاني الضروري للنجاح.

ويعتقد الذين يعتدون بذاتهم أنهم قادرون على النجاح في كل ما يفعلونه. إنهم يحترمون أنفسهم ويعلمون أن الآخرين يحترمونهم أيضاً، ومن أجل منح الشخص المزيد من الثقة لتجديد روحه في إنجاز الأعمال وقتل الرتابة والملل يقول صمويل سمايل : (ازرع فكرة تجني عملاً، ازرع عملاً تجني عادة، ازرع عادةً تجني خُلقاً، ازرع خُلقاً تجني مستقبلاً باهراً).

وعن النبي ﷺ، قال : «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإنْ هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئةً واحدةً**»[1]. وهنا أيضاً ترينا الشريعة أن صفاء النية لابد منها في الأعمال؛ لأن من الممكن للإنسان أن يثاب عليها، وهي ضرورية بل واجبة، فالعمل التنموي الذي يأتي بموافقة تحدث لا يعتبر من وجهة نظر الإسلام تنموياً ما لم تعقد النية فيه ويكون مع

(١) رواه البخاري.

سبق الإصرار، وهي شرط لازم لصحة العمل التنموي.

وكان رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: «**ما منْ شيءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أثقلَ من حُسنِ الخُلقِ وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخُلقِ، ليبلُغُ بهِ درجَةَ صاحِبِ الصَّومِ والصَّلاةِ**»[1] ونلاحظ قول الخبير في التنمية البشرية كيف يقول: (ازرع خلقاً تجني مستقبلاً باهراً)..

ونلاحظ في حديث النبي ﷺ كيف قد وضع صاحب الخلق الحسن بمصافِّ الصائمين والقائمين، وينمو حسن خلقه نماءً ليس له مثيل، حتى حين يوضع في الميزان يوم القيامة، إذ يجده قد تنامى حتى ما من شيء أثقلُ منه..



(١) رواه البخاري.

المصادر

١ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٩٤ - ٢٥٦ هـ ،دار ابن كثير ،بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ٢٠٦ - ٢٦١ هـ دار إحياء التراث تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٢ - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ١٦٤ - ٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة للنشر، جمهورية مصر العربية.

٣ - النظم الإسلامية، الدكتور منير محمد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠٠٦ م.

٤ - جامع البيان عن تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٥ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية ١٩٣٨ م.

٦ - أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار الصحف، القاهرة، جمهورية مصر العربية،

٧ - كيف تكون أكثر نجاحاً، ميشيل أرمسترونج، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .

٨ - كيف تنمي قدرتك على مفاوضة الآخرين، جون ماتوك - جونز إيرينبور الطبعة الأولى، المملكة المتحدة، لندن ١٩٩٦ Kogan Page Limited

١٠ - المفاتيح العشرة، للنجاح الدكتور إبراهيم الفقي، المركز الكندي للتنمية البشرية، كندا، ٢٠٠٠ م

١١ - دليل لا تهتم بصغائر الأمور، محرري دار dont sweat press ، مكتبة جرير الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م المملكة العربية السعودية - الرياض

الفهرس

